

## الكتاب الثاني

# جهاد واستقلال

« نعم سيصبح الوطنيون عبيداً إذا  
انهزموا. ولكن شتان بين الرق بعد  
الجهاد ، والرق بدون جهاد : فهذه أمة  
جاهدت ثم قضت نجها ، وتلك أمة ماتت  
ميتة حقيرة بدون جهاد ! »

مصطفى كال



## مذبحة ازمير

مؤتمر الصلح الأعلى مجتمع في باريس  
ولسن ولويد جورج وكليمانصو وارلانديو بيتون في مصير العالم  
وفي ٦ مايو سنة ١٩١٩ يسعى فزيولوس سعيه المشهور فيخوله مؤتمر الصلح حق  
احتلال ازمير احتلالاً عسكرياً تحميقاً لمطامع اليونان في الأناضول  
وتصدر الحكومة اليونانية منشوراً تقول فيه ان احتلال ازمير العسكري اعتراف  
شرعى بمطالب اليونان في غربى آسيا ، وانه حادث عظيم له مغزى جليل ، لأنه  
جرى بمواقفة جميع الدول العظمى . . .

وبذلك يرفع الستار عن أول مهزلة من سلسلة المهازل التي عرفت بشروط ولسن  
وحق تقرير المصير ، وتثبت الدول التي احتلت تركيا أن صلح مودروس ليس إلا  
بداية تطول بعدها مواده وتقتصر حسب الحاجة . وتثبت أنجلترا بصفة خاصة أنها  
لا تعرف « كلة الشرف » في قاموسها السياسي والحربي  
وفي ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ينزل الجيش اليونانى - في حمى اسطول الحلفاء -  
لاحتلال ازمير

أهل استامبول يجتمعون في مسجد السلطان احمد ويهتفون : « ازمير للترك ! »  
ولا يعترفون بهذا الاحتلال الذى قذفه عليهم مؤتمر الصلح  
أما حكومة الداماد فريد فلا تحرك ساكناً  
وأما الخليفة فمن رأيه التسليم على طول الخط . وهو لذلك يوفد بعثة شاهانية  
إلى والى ازمير تبلغه أن أمير المؤمنين وظل الله فى الأرض قد قضت ارادته بالألا  
يدافع الجنود عن المدينة فاحتلالها لاشك مؤقت ، وأنجلترا دولة صديقة تسعى لما فيه  
خير المسلمين ! !

والآن نتقل الى ازمير : فماذا نرى ؟

نرى الاميرال كالثورب الانجليزى يصدر أمره الى قائد حصون ازمير بوجوب  
اخلائها . ثم يعث بمذكرة الى والى ينبثه فيها بقرار مؤتمر الصلح . ثم يطلق سراح  
الذئاب اليونانيين على ما يشبه القطيع من سكان المدينة العزل ، فيدخلون المدينة  
هاتفين : « زيتو فزيولوس ! » ثم يهرعون الى الشكنة العسكرية حيث الحامية التركية

التي سامت سلاحها فيطلقون عليها النيران . . فيحاول أحد الضباط الأتراك رفع الراية البيضاء فتصرعه طلقة من ضابط يوناني . . .

ثم يصدر الأمر بنقل الحامية التركية الى قطع الاسطول البريطاني ، فيسير جنود الحامية في الطرقات صفوفا متراسة . فيتفكك اليونانيون بقتلهم الواحد تلو الآخر فلا يصل إلى الاسطول الا عدد قليل !!

فإذا ضربنا صفحاً عن تلك المأساة فهما هي ذى مآس أخرى أشد هولاً وأقسى عذاباً : فهؤلاء جنود يونانيون يرون إحدى المحصات تجرى في الطرقات باحثة عن وحيدها ، فيتكأرون عليها ويمزقون ثيابها ويعتدون على عفافها اشنع اعتداء وحشى وهي تصرخ وتولول . . .

وهذه امرأة حامل : يقرر اليونانيون بطنها ويستخرجون منه الجنين فينتقمون منه قبل أن يولد !!

وهؤلاء جنود يقتحمون المنازل ويقتلون ويعذبون ويتهكون الحرمات تحت سمع الأنجليز والفرنسيين والايطاليين والامريكيين وبصرهم . . .

ثم يتشدقون بعد ذلك بأنهم انبل أهل الأرض محتدماً وأعظمهم رفاً الوطنيون يصدرون كتاباً بالفرنسية يسجلون فيه وحشية اليونان وتواطؤ الحلفاء معهم ، ويقدم استجواب عن تلك الفظائع في مجلس العموم البريطاني ، فتألف لجنة من الجنرال هار الأنجليزى ، والجنرال نيوسكى الفرنسى ، والجنرال دلوليو الايطالى ، والاميرال برستول الامريكى للتحقيق فى فظائع اليونان . ولكننا نتساءل : هل ثبتت التهمة على أحد ، وهل حكم على يونانى واحد بالاعدام أو ما هو دون الاعدام ؟ !

ولا تكاد تعود لجنة التحقيق الى اسطول الحلفاء حتى يعود اليونان الى أعمال القتل والسلب وهتك العرض . فاذا ما فرغوا من ازيمير تراهم فى القرى المجاورة وخاصة فى منيمين حيث يعيدون تمثيل مأساة ازيمير ويذبجون من الأتراك ما يربى على الألف بين طفل مسكين وشيخ كبير وعجوز محطمة وحامل وبكر ، ولا يدعون منزلاً واحداً حتى يقتلوا من فيه ممن لم يفرروا الى القرى المجاورة ، وحتى يتهكوا أعراضاً عزيزة

فلنسدل الآن على هذه المأساة ستار النسيان !

## تركيا الممزقة . .

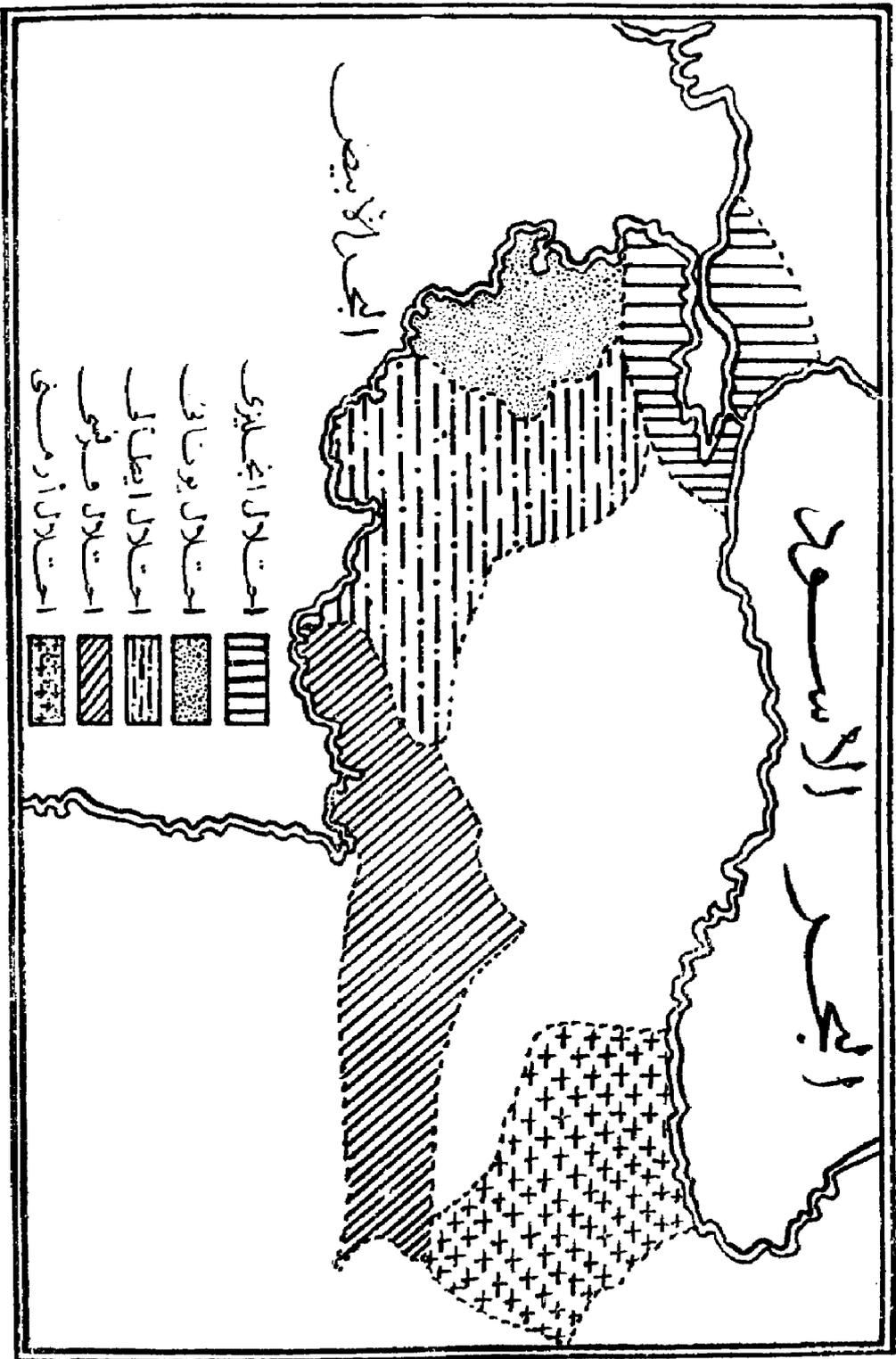
ماذا بقي من الامبراطورية العثمانية ؟  
أملاكها الشاسعة أصبحت أثراً بعد عين  
وها هي ذى بلادها تمزق وتوزع على الحلفاء الضافرين :  
فمنطقة البوغاز لاجلجترا . وأزمير وما حولها لليونان  
ومنطقة قونية وأنطاكية وما حولها لاطاليا  
والجنوب الشرقى من تركيا لفرنسا  
والمنطقة الشمالية الشرقية للأرمن  
وللاترك ما بقي بعد ذلك !

وليت الأمر يقف عند هذا الحد . بل ان ما بقي بعد ذلك كان مرتعاً خصباً  
للجواسيس والجمعيات الهدامة التى أنشأتها العناصر المسيحية :

فهناك جمعية « موديميرا » وجمعية الصليب الأحمر اليونانية ، وجمعية الكشافة  
اليونانية ، وجمعية الروم وعلى رأسها البطريرك ساوين أفندى ، وجمعية « بوتوس »  
فى طرابزون وسمسون ، وجمعيات أخرى فى ديار بكر وبتليس والعريز ، وجمعية  
تدعو لانفصال الأكراد عن تركيا ، وجمعية أصدقاء الانجليز فى استامبول وعلى  
رأسها وحيد الدين والداماد فريد ووزير الداخلية وغيرهم - وكان القس « فرو »  
أهم أعضائها العاملين - وجمعية أصدقاء الامريكان ، ووالج . .

وتألفت الى جانب هذه الجمعيات جمعيات أخرى وطنية تعمل على مناهضة الدس  
والدساسين ، نذكر منها جمعيات ادرنة ، وتراقية ، وباشا على ، وأرضروم ، والعريز ،  
وطرابزون ، وأوف ، ولازستان ، وأزمير الخ . . . ولكن هل كان لهذه  
الجمعيات برامج وطنية تسعى لتحقيقها بالوسائل العملية ؟ كلا . بل إن منها ما وضعت  
برامج لا تكاد تعقل ، كجمعية تراقيا الشرقية والغربية اللتين عولنا على نيل الاستقلال  
بمساعدة انجلجترا وفرنسا !! وأما سائر الجمعيات الاخرى فكان رائدها انقاذ ما يمكن  
انقاذه مع الاعتراف ببقاء الاحتلال

وفى هذا الحضم الزاخر بالجمعيات كان الوطن ينتحر ! وكنت لا تسمع فى  
استامبول الا النقاش البيزنطى ، وكثر أذعيا السياسة فأصبح كل نكرة من هلافت



العاطلين يتشدق بوجود الاعتراف بالحالة الراهنة والبقاء تحت نير الاحتلال حتى تستقر الأمور ، ثم تشرع الحكومة في مفاوضة الحلفاء واقناعهم بأحقية المطالب الوطنية ، كأن المفاوضة قبل الحرب تؤدي الى استقلال أو ما يشبه الاستقلال !  
أما الجيش فكانت فلوله مازالت قائمة في قونية وأفيون قره حصار وديزلي وأشنة ونجدة وأزمير وبالكسر وبورسه وبندرمه وسيواس وأرضروم وديار بكر وكان أشهرها بالجيش المنظمة جيش كاظم قره بكير في أرضروم

## يد القدر

لم يعد عن الثورة من عيص  
معجزة القرن العشرين توشك أن تتم  
دعاة الاحتلال يسخرون من دعاة الثورة ويتهمونهم بالجنون  
وحكومة الداماد فريد تسلّم للمحتلين كل شيء . والخليفة منكمش في قصره وقد  
عول على الرضا بما قسم له وقنع من امبراطورية آل عثمان بعرش يجلس عليه في بلد  
محتلة أرضه ، محتلة مياهه ، محتلة سماؤه  
الثوار ( المجانين ) يؤلفون العصابات حول كل بلد احتله الحلفاء واليونانيون .  
والأسلحة تهرب اليهم من حيثما وجدت وتحت أنف الحرس الانجليز  
وحق اللصوص وقطاع الطرق يتوبون الى الله عما أسلفوا وينضمون بعصابتهم  
المسلحة الى عصابات الثامرين !  
وأما قلب الاناضول فلا يكاد ينبض . ولكن الثورة مكبوتة في صدور المجاهدين  
في انتظار الزعيم

فأين هو الزعيم ؟

ما كان يخطر ببال أحد أنه شخص معين بالذات ، فقد يكون كالا ، وقد يكون  
كاظم قره بكير ، أو رءوفاً ، أو غير هذا وذلك من قواد الجيش ووزراء الدولة السابقين  
أنا لا أشك في أن كل رجل من هؤلاء كان يفكر في الثورة . بيد أن كالا الثامر  
كان أسبقهم الى العمل المنظم  
انه يذهب الى سراي ويقابل وحيد الدين مقابلة سرية فيعرض عليه الخليفة

وظيفة « مفتش عام لشمال الأناضول وحاكم عام للولايات الشرقية » ويصدر اليه الأمر بالسفر الى الأناضول وتسريح بقية الجيش العامل فيه والقضاء على حركاته الثورية ولكن لماذا اختار وحيد الدين كلاً دون غيره ؟

هنا يقف المؤرخ متحيراً ولا يسعه الا أن يقول : هي يد القدر تعمي البصائر . . . وهي دبلوماسية بارعة من مصطفى كمال الداهية !

ومن عجب أن تعمي بصيرة الانجليز عن بطل الدردنيل الذي دحرم قبل أربعة أعوام فتوافق القيادة الانجليزية الآن على ايفاده في تلك المهمة الخطيرة ، وكأنها تقول للبهيم في الأناضول : هالك النار فاشتعل !

مصطفى كمال يودع أمه وداعاً عاجلاً ويذهب الى وزارة الحربية فيزورها زيارة قصيرة ، ثم يستقل السفينة وفي صحبته رأفت بك قائد الجيش الثالث في سيواس ، الى مياه البحر الاسود ، الى شمال الأناضول

وبعد أن يفلت الصيد من الشباك يتنبه الخليفة الى غفلته ، والانجليز الى غلظتهم ، فيصدر الامر الى مصطفى كمال بالرجوع ، ولكن هيات ! فقد وصل الى ميناء سمسون في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ ، فلما وجدها تحت الاحتلال العسكري غادرها الى الداخل

وفي مدينة أفراغلي جنوب سمسون تبلغه أنباء الاحتلال اليوناني لأزمير وما ارتكب فيها من فظائع وآثام ، فيعقد من أهل المدينة حفلاً يقوم فيه خطيباً - لأول مرة فيما نعلم - ويحض الأتراك على الثورة والدفاع عن الوطن والاعراض ، فتهمر الدموع من المآقي ، ويتطلع اليه الجميع في أمل يعتوره اليأس . . .

وينقل الجواسيس أقواله الى الانجليز في سمسون ، فيخابرون السلطات العليا في العاصمة ، فيصدر الامر بالقبض عليه ، ولكنه يفلت من قبضتهم إذ يفر الى أماسيا حيث لا احتلال ولا سلطة عسكرية ، وهناك يتنفس الصعداء ويشعر بحرية القول والعمل ، فيخطب في الجماهير كل يوم ، - بل كل ساعة - حاملاً على الانجليز حملة شعواء ، داعياً أبناء وطنه الى الثورة والقتال

ولكن أية ثورة ! وأي قتال ! وأين هو المال ؟ وأين الرجال ؟

مصطفى كمال لا يعرف المستحيل . ولذلك نراه يبادر فيدعو كلاً من رأفت وعلي فؤاد ورووف - الذي استقال من وزارة البحرية وأخذ يؤلف العصابات حول أزمير -

- فيجتمع الاربعة في أماسيا - وينضم اليهم عارف صديق مصطفى كمال الحميم - ويقررون:
- ١ - تنظيم جيش للدفاع عن أزمير وما حولها بدل العصابات غير المنظمة
  - ٢ - بث روح الثورة في جميع المدن والقرى وانشاء مراكز لتدريب المتطوعين وجمع المال وتوفير الاسلحة والذخائر
  - ٣ - تقسيم الأناضول الى ثلاث مناطق دفاعية : فالقطاعات الشرقية من نصيب كاظم قره بكير ، والغرب من نصيب علي فؤاد ، والقلب يشرف عليه مصطفى كمال
  - ٤ - اقامة حكومة مركزية للدفاع عن البلاد لاتكون لها صلة بحكومة السلطان .
- على ان لا يتم تأليفها الا بعد استشارة نواب يمثلون البلاد تمثيلا لاشائبة فيه

## الخليفة سجين ! فهل هو معنا !

الزملاء يتفرقون كل الى جهة . ومصطفى كمال يجوب القرى حول اماسيا وقد اتعشت آماله ووطد عزمه على الثورة وقتال المحتلين انه يرى في المستقبل المظلم قيام الثورة في كل مكان . وقتال اليونانيين الذين راحوا يتقدمون بمحافلهم وذخائر الحلفاء شطر قلب الأناضول . . وانتصاره عليهم . . وامعانه فيهم قتلا واسراً . . وامعانهم في الهرب . . واملاءه شروط الصلح على الحلفاء . . وخروج الحلفاء من تركيا . . وتحيتهم للعلم التركي الظافر . . وقيام الحكومة الكمالية في انقرة . . والغاء السلطة والخلافة . . واعلان الجمهورية . . والسير بتركيا في معارج الرقي حتى تصبح دولة كبيرة ذات خطر . . .

يرى كل ذلك بعين البصيرة فيزيل من أمامه تلك العقبات التي تتحدى قوة البشر ، ويغالط نفسه فلا يرى هذا الشعب المحطم والحكومة الخائنة والخليفة الخائن والفقير والبؤس واليأس . . . وبهذا الروح نراه يخطب في الناس فيقول لهم ان الانجليز - اعداء الشرق والاسلام - وطفدوا العزم على القضاء على تركيا ومحوها من عالم الوجود - تركيا الخالدة ، تركيا المجاهدة ، تركيا حصن الدين وسيف الاسلام . . وان اليونان سيقومون في قلب الأناضول حكومة ودولة . . وان الخليفة أسير في استانبول ولا يملك من الأمر شيئاً ، ولو أنه كان مطلق السراح لصاحبه في رحلته تلك ولسكان أول من ينادى بالثورة وحمل السلاح في وجه العدو الغاصب . . والدليل المادي على أسره

أنه لم يحتج على فظائع ازمير - مع أن هذا الاحتلال تم بموافقة الخليفة ، وأنه هو نائب الخليفة ومثله جاء يحض الناس على اعلان الحرب الدينية والجهاد المقدس . . « فتوروا لكرامتكم ، ودافعوا عن عربكم ، وعن دينكم ، وعن أعراضكم الملوثة ، وتطوعوا في الجيش الاهلى لتقهروا اعداءكم واعداء الاسلام . . . »  
يا للعجب !

ان هذا الرجل النحيل الشاحب الوجه يحرك كتلا صماء من اليأس والخور . . والحماة تخلق مما يكاد يشبه العدم . . والجنود والضباط المتقاعدون يعيشون من هنا ومن هناك ، ويهرعون الى حمل السلاح - وأى سلاح ! والى تدريب مئات التطوعيين وآلافهم !

ثم ينتقل من آماسيا الى ارضروم ، وهناك يقول : « ما بالكم لا تثورون ؟ ألا تعلمون أن انجلترا اللعينة وعدت الأرمن بجمهورية ارمنية تقام على انقاض ولايتكم وعلى قبوركم ! ؟ » فتفعل هذه الكلمة في الجماهير فعل السحر فيهبون للدفاع عن بلادهم ومقاومة الجمهورية الأرمنية المنتظرة . .

وفي ارضروم يتقابل الرجلان الكبيران : كمال وكاظم قره بكير ، فيطلع كمال زميله على قرارات آماسيا فيواقفه عليها ، ثم يغادر كمال البلدة ويحيط بالقرى المحيطة بها لتنظيم القوات الدفاعية ، داعيا الضباط والجنود الى عدم تسليم اسلحتهم للحكومة لأنه - باعتباره ممثلاً للخليفة - يأمرهم بذلك

وبعد بضعة أيام تصله رسالة برقية من السلطان يأمره فيها بالعودة . . . فيذهب الى مكتب التلغراف ويبرق الى خليفة المسلمين داعياً اياه الى الأناضول لقيادة جيش الخلاص . ويظل ينتظر الرد الى الصباح . فيصله رد مقتضب يأمره بالعودة الى العاصمة على جناح السرعة !

فهل كان كمال يريد - أو يتوقع - قدوم الخليفة لقيادة جيش الخلاص ؟ اللهم كلا . . فهو يريد أولاً وقبل كل شيء أن يثبت للملأ أن الخليفة لم يعد يملك من الأمر شيئاً ، وأنه سجين في استانبول ، وأنه لولا ذلك لما أمره بالعودة الى العاصمة وهو الذى أوحى اليه سرأً بوجوب الثورة والجهاد . وعلى ذلك فهو يرد على الخليفة قائلاً انه سيظل في الأناضول حتى تنال البلاد استقلالها ، وانه يستقيل من الجيش ويشرع في الثورة كمواطن بسيط

## نواب الأمة يقررون الجهاد

للمواطن مصطفى كمال يدعو نواب الأمة الى ارضروم لعقد مؤتمر عام يقررون فيه مصير الوطن

ولا يكاد النواب يصلون الى ارضروم حتى يوجه دعوة عامة الى سائر جهات الأناضول يقول فيها : « ان كيان الوطن أصبح معرضاً للضياع . ولما كانت حكومتنا المركزية واقعة تحت مراقبة الدول المتحالفة ، فقد استحال عليها الوفاء بالعهود التي قطعتها على نفسها . ومثل هذه الحالة تظهر افلاس الأمة - لا قدر الله . .

» بيد أن استقلال البلاد مازال موكولاً الى عزم الأمة واراقتها . ولا بد لذلك من قيام هيئة وطنية لا تخضع لتأثير أو مراقبة حتى تصلح حال الأمة وتفرض حقوقها على العالم أجمع . لذلك صممنا على عقد مؤتمر وطني عام في سيواس - على أن يصل أعضاؤه في أقرب فرصة مستطاعة

» فعلى كل لواء عثمانى أن ينتخب - بنهاية السرعة - ثلاثة أعضاء أكفاء وأن يوفدهم الى سيواس . . الخ الخ . . . »

ثم يتصح الأعضاء المنتخبين بالتكلم والتكر عند المرور في البلاد الواقعة تحت الاحتلال . أما عن نواب مؤتمر ارضروم ، فيقول انهم سينضمون الى المؤتمر العام في سيواس بمجرد فراغهم من أعمالهم المقررة

ولا يكتفي مصطفى كمال بدعوة نواب الأناضول الى سيواس ، بل يعمل على أن تنتخب تركية أوربا نواباً عنها ، ولذلك نراه يرق الى جعفر طيار بك قومندان الفرقة الأولى في أدنة بهذا الخصوص ، قائلاً : « تعلمون أن الدول المتحالفة تعمل على القضاء على استقلالنا والتمهيد لانقسام الشعب التركي الى شيع واحزاب ، ولما كانت حكومتنا المركزية واقعة تحت الأسر ، فقد أصبح تسليم زمامنا لها تسليماً بالفناء والانقراض - معاذ الله . . ولذلك اعترنا عقد مؤتمر سيواس الخ الخ . . . »

ولا يكاد مؤتمر ارضروم يعقد أولى جلساته ، حتى يصدر أمر الخليفة الى كاظم قره بكير بالقاء القبض على مصطفى كمال ورحيله الى العاصمة . . وبفض مؤتمر ارضروم بالقوة . .

لماذا ؟ !

لأن مصطفى كمالاً ثائر متمرّد . . لأن عطف الحلفاء لا يقابل بهذا الجحود .  
لأن الداماد فريد الذى يفاوض الحلفاء لا تتاح له المفاوضة والاناضول ثائر . . لأن  
الأمر أصبح فى يد الخليفة حامى الاسلام والسالمين ومعلى كلمة الحق والدين ، فمن هو  
هذا الأهوج الطائش الذى يثور ضد الحلفاء اصدقاء الخليفة ؟  
مصطفى كمال فى خطر : فالقبض عليه معناه سوقه الى العاصمة مكبلاً فى السلاسل ،  
والقاؤه فى غيابة السجن - ان لم يحكم عليه بالاعدام  
والثورة التى يهد لها فى خطر : مثل مؤتمر ارضروم بالقوة قضاء على الحركة  
الوطنية فى مهدها ، ولن يجسر أحد على عقد مؤتمر آخر بعد ذلك . .  
النواب يعاودهم الخوف والشك فى نجاح الحركة الوطنية . والآمال الذهبية التى  
أحياها كمال فى قلوبهم توشك أن تنهار . . .  
وكاظم قره بكير رجل الساعة والقباض على مصائر الوطنيين يتراوح بين الخضوع  
الأعمى لأوامر الخليفة ، وتلبية نداء الواجب . .  
والحق يقال أن ساعات من الشك المريب فى نجاح الحركة الوطنية تمر به فتتغص  
عليه حياته وتكاد تحمله على اعداد جبل المشقة لجمهرة الناشرين . .  
ولكنه وطنى قبل كل شىء . وكال الداهية يضرب له على الوتر الحساس كما  
جلس اليه ليقوى من عزيمته ويرجع فيه كفة اداء الواجب الوطنى على كفة طاعة  
أوامر الخليفة . .  
وأخيراً - وبعد أيام من اليأس القاتل والشك المريب تهلك الوجوه بعد اصفرارها ،  
وتعود القلوب الى وجيها بعد أن كادت تصق ، فكاظم قره بكير - الرجل ذو  
القلب الكبير - يعصى أوامر الخلافة ويلبى نداء الواجب !  
ويجتمع المؤتمر فى اليوم التالى وقد بلغت حماسة الأعضاء حدها ، وسرعان  
ما يقررون انتخاب مصطفى كمال رئيساً لهم وقائدا لثورتهم . .  
ومن العجب أن ينتخب هؤلاء الأعضاء كمالاً لرئاسة المؤتمر وقيادة الثورة وهم  
الذين كانوا لا يطيقون أن يرأسهم أحد . .  
إنهم يقدرّون كمالاً حق قدره ، ويدركون أنه هو - دون غيره - رئيسهم وقائدهم  
ثورتهم المقبلة . ولكن شيئاً من الغيرة والتوجس بأبى عليهم أن ينتخبوه للرئاسة :  
فوجهه النحيل الضامر ، وعينا الذئب ذواتا البريق الرهيب والتألق الخفيف ، وأقواله

المعسولة التي كانت تبدى ما تحت غسلها من سم اعتزم أن يصبه في فم الخليفة صبا . .  
وأخيراً تلك اليد الحديدية التي يلوح بها في الهواء . . آه . . ما أغرب طباع البشر !  
انهم يرون رأيه في الثورة ويتحمسون لها . ولكن ثمة قدساً من الأقداس  
تتشعر أبدانهم من مجرد التفكير فيه : فالخليفة - مهما تكن نقائصه - هو الخليفة . .  
وامره - مهما يكن جائراً - هو من أمر الله . . وعصيان الخلافة كالكفر بالله . .  
ومبتور هو ذلك المبتد الذي يشهر في وجه حامى حمى الدين وخليفة المسلمين !  
بيد أن المعجزة تم اذ ينتخب كمال للرئاسة كما اسلفنا . ولا عليه بعد ذلك اذا كان  
الأعضاء قد تسرعوا في انتخابه ، فهو الآن رئيسهم ، وهو الآن رئيس مؤتمر اقليمي  
سوف يتبعه مؤتمر قومي ، وليس مجرد « مواطن » لا صفة رسمية له  
مصطفى كمال الرئيس يعتلى منبر الخطابة ليشكر الأعضاء على جميل صنعهم ،  
فيقول - بعد عبارات الشكر المأثوقة : « ان من المحال أن يرى وطني ما حاق بالوطن  
من كوارث ونكبات ثم لا يشور . . وان الوطنيين ألقوا سلاحهم بعد أن اطمأنوا  
الى انصاف الظافرين - وكان في مقدورهم أن يقاتلوا حتى يقتلوا - أو ينالوا حقوقهم -  
بيد أن اطمئنانهم الى انصاف الاقوياء استحال الى تسليم وخضوع أعمى من جانب  
الحكومة المركزية . ثم استغل الحلفاء هذا الخور والتسليم أسوأ استغلال اذ اقتسموا  
الغنيمة فيما بينهم ومزقوا تركيا شرمزق ، ثم أطلقوا اليونان على قرى الأناضول  
الآمنة ليعيشوا فيها فساداً وليتتهكوا أعراض الترك ويدوسوا على حقوقهم وما يتقدسون .  
وإن الحكومة المركزية التي قبلت كل ذلك انما هي حكومة لا تخضع لاشراف ممثلي  
الشعب بعد أن أغلق مجلس المبعوثان واحتل الحلفاء العاصمة . وان الحلفاء معذورون  
في انتهاكهم حرمت الأمة : فهم ظافرون ، والأتراك منهزمون ، وعروق الوطنية لم  
تعد تنبض بالوطنية . . ولا جرم يتسمون تركيا الى أملاك ارمنية ، وأخرى يونانية ،  
وثالثة انجليزية ، ورابعة فرنسية ، وخامسة ايطالية . . يريدون بذلك أن ينالوا وطننا  
لم يشهد الاذلال منذ ستائة وخمسين عاماً وصل فيها الى حدود الهند شرقاً . والنمسا  
غرباً ، والروسيا شمالاً ، وقلب افريقيا جنوباً . فوا أسفاه على امبراطورية تنهار ،  
ومجد يهوى الى حضيض النذل ، وغفار يقطب شتاراً واسترقفاً ! »  
وكأنه يخشى أن تؤثر هذه الأقوال في الأعضاء عكس التأثير المطلوب . . لذلك  
نراه يعرض حال الشرق المنكوب بعد الحرب العظمى : ويبدأ بمصر فيصف ثورة

المصريين بعد نفي زعيمهم وصحبه الى مالطة . ثم يعرج على الهند فيصف ثورتها وجهادها في سبيل الاستقلال . ثم يعرض الثورات في سوريا والعراق ، ويذكر جهاد افغانستان والقوزاق واذربيجان وكورجستان . فاذا اطمان الى أن قلوب الأعضاء بدأ يدب فيها ديب الحياة ، نراه يصف الحالة الدولية وصفاً اجمالياً ، ويخص روسيا الشيوعية بالشرح الطويل وكأنه يرى فيها حليفة المستقبل . .

وأخيراً نراه يصف استامبول المحتلة وخروج الوطنيين منها بعد أن ثقل عليهم نير الاحتلال ، ويقول ان بقاء الرجال المسؤولين في العاصمة أمر غير معقول ، وانهم اذا صمموا على البقاء فيها فعنى ذلك أنهم سوف لا يعملون شيئاً ، ولذلك وجب قيام حكومة ثانية في الأناضول . .

وأخيراً يقول الرجل النحيل ، الضامر الوجه ، ذو العينين البرأتين :  
« وفي ختام خطابي ابتهل الى الله واهب الآمال الذي لم ينس أمتنا التي دافعت عن هذا الوطن المبارك وهذا الدين الأحمدي الجليل - وستدافع عنهما الى يوم القيامة - والذي لم ينس جل شأنه مقام الخلافة والسلطنة . . ابتهل اليه أن يدفع بنا الى النصر والتوفيق بعد أن اخذنا على عاتقنا الدفاع عن حقوقنا المصونة المقدسة . . آمين ! »  
كلام غريب ! . ولعل أغرب ما فيه ذكر الخلافة والسلطنة في معرض الابتهاال الى الله !

النواب تملأ قلوبهم الحماسة الدينية الشبوبة فيصفقون طويلاً ويهتفون بحياة الرئيس . . ثم يقررون باجماع الآراء :

١ - تنظيم الدفاع عن الوطن ومناهضة الاحتلال

٢ - إقامة حكومة مركزية وطنية في الأناضول

٣ - انتخاب من يتلهم في مؤتمر سيواس

## الى سيواس ...

مؤتمر سيواس يوشك أن انعقد

مصطفى كمال رئيس مؤتمر أرضروم في عمل دائم ليل نهار : فهو على اتصال

مستمر بوالى سيواس مصطفى رشيد باشا يصدر اليه الأمر تلو الأمر في وجوب التمهيد

لعقد المؤتمر . وهو على اتصال دائم بحسي افندي قاضي سيواس يحاول اقناعه بأن ليس ثمة خطر من عقد المؤتمر في سيواس . ثم إنه يبرق الى قائد الفرقة الثالثة في سيواس قائلاً ان مؤتمر أرضروم صادم نجاحاً لم يكن ينتظر منه ، وان قراراته قوبلت بحماسة شديدة ، وان دول الاحتلال لم ترفيه خروجاً على المألوف . فهذا وطن يأبى أن ينتحر ويعمل على الخلاص من ربة المحتلين . وكأنه يخشى أن يضعف القائد اذا حان حين العمل فزاه يهدده بأن كل من لا يتحمس لمؤتمر سيواس إما أن يكون جباناً ، وإما أن يكون خائناً . . ولا يكتفى بذلك بل يبرق ويكتب الى مئات من وجوه المقاطعات وأعيانها حاثاً اياهم على وجوب الجهاد بأساليب تناسب كلا منهم ، وان في هذه الأساليب ما يصل الى الدرورة في البلاغة وقوة الحجج ، وما تنفطر منه القلوب وتسيل الدموع ، ويذكي في القلوب ناراً . .

وفي كل يوم ترى مثلاً علياً للتضحية والوطنية :

فهذا شباب يقبل على كمال وي طرح بين يديه حياته ومستقبله . وذلك وجيه يطرح أمامه ثروته . وتلك امرأة تراه فتبكي وتعدده بالمساهمة في الجهاد . وأولئك القرويون السذج يتطوعون في جيش الخلاص أو يتبرعون بجانب من محصول أراضيهم للجنود وهناك في استامبول : البلد المحتل نرى في بهم الليل ، ومن وراء ستار ، فصولاً لأروع مأساة عرفها القرن العشرون : فأنباء مؤتمر أرضروم تصل الى العاصمة فيسخر منها فريق المتخاذلين ويتحمس لها المجاهدون . وانك لترى ألواناً من التجسس والغدر لا تتاح لك رؤيتها الا في مثل تلك الأيام السود . فاذا ما تغفلت في صميم القلوب السليمة وولجت أبواب المنازل رأيت آيات من البطولة الغدة :

فهنا جماعة من الشبان يجلسون حول مائدة عليها المصحف والسيف ويقسمون على الموت أو الحياة الحرة . .

وهناك جماعة تهرب الأسلحة الى الأناضول . . فاذا سألتنا : كيف ؟ قلنا والله

لا نعلم ، ولا يتاح لنا أن نعلم . .

وفي غرفة مظلمة اختتمت بدخان اللقائف يجلس شاب تركي نحيل تتدلى على جبينه خصلة من الشعر نابليونية ، ويروح يصف لأحد مراسلي الصحف الأجنبية أو الملحقين بالسفارات الأجنبية أحوال الثورة ويدافع عن حقوق الوطن ويصف كمالاً وصحبه بأنهم أبطال يجب الدفاع عنهم والمساهمة معهم في الجهاد . ولا يكاد يفرغ من

حديثه حتى يتحمس الأجنبي للقضية التركية ويخرج من الغرفة وقد آلى على نفسه أن يساهم في الجهاد مع المساهمين .

وهذه فتاة يلح عليها خديتها في وجوب عقد الزواج ، فتصيح في وجهه : « أي زواج والوطن ينتحر ! » . ثم تراها واقفة أمامه كاللبؤة الثائرة وقد جحظت عيناها وتشعث شعرها وراح صدرها يعلو ويهبط ، وتسمعها وهي تهيب به : « أن جاهد مع المجاهدين ، ومت مع الشهداء ان كانت فيك رجولة وكان فيك رجاء . . ! »

آلاف من هذا الشباب وهؤلاء الفتيات تراهم وتراهن في كل مكان وان لم يظهروا في أي مكان . والثورة جياشة في الصدور وان لم يبد منها شيء على الوجوه . وصفحة البسفور والبحر الأسود ترى سفناً وقوارب صيد عتيقة تحمل زهرة الشباب التركي في لباس النوتية ، وتحمل الأسلحة والدخائر تحت طبقة من الغلال أو الفاكهة أو شباك الصيد

والآن نعود الى سيواس لنرى النواب وهم يتقاطرون على المؤتمر من كل فج ، وفيهم الضابط المتقاعد والعامل والسياسي والتاجر والقاضي وشيخ العشيرة : هذا بلباسه الأوربي ، وذلك بلباس رجال الدين ، والآخر باللباس الوطني القديم . وترى فيهم حليق اللحية ومطلقها ، والعصري المتسامح والمحافظ المتعصب . .

كل أولئك يصلون الى سيواس بعد جهد جهيد وتعرض لأخطار لا عداد لها . بل ان كلالا نفسه ينجو من خطر القبض عليه بأعجوبة ويصل الى سيواس حيث يتصل بالنواب قبيل عقد المؤتمر ، فيرون فيه الذئب النحيل الضامر ذا العينين المتألفتين ، ويسمعون منه كلاماً هائلا ما كانوا ينتظرونه ، فيتحمسون ، ثم يجنون ، ثم يعاودهم التحمس ، وأخيراً تستقر نفوسهم حيث الحماسة ولكن الغيرة والتوجس يأكلان قلوبهم . . .

ويعلم النواب أن اميركا أوفدت مندوبا عنها الى سيواس ليحضر المؤتمر ويوقف الحكومة الامريكية على حقيقة الحال في الأناضول ، كما يعلمون أن فرنسا وايطاليا تنظران بعين العطف الى الثورة التي توشك أن تشتعل ، فيعجبون أيما عجب ولا يعلمون ان هذا العطف مصدره ذلك الشاب التركي النحيل ذو الخصلة النابليونية الذي يقضى ليله ساهراً في حجرته المظلمة المحتنقة بدخان التبغ في استامبول . .

## المؤامرة

وينعقد المؤتمر في سيواس

وفي أول جلسة من جلساته يشعر كمال بأنه أمام نواب شديد مراسهم طويلة مناقشاتهم يفتنون الرئاسة أشد الفت وفي نفس الوقت يلحون في طلب الرئاسة ذات الارادة الفولاذية !

حدثني أحدهم فقال : كنت أمقته . . ولكني كنت أراه أصلح الموجودين لقيادة الثورة ، ولذلك اتخنته رئيساً . .

وحتى كاظم قره بكير : الرجل الطيب الذي عرفه قائداً في القوقاز ونفذ أوامره بدقة ، نراه يطلب اليه بالحاح ألا يوقع على مراسلات المؤتمر بامضائه

بيد أن كمالاً يتجاهل كل ذلك وينبرى على المنبر خطيباً ، فيشكر للاعضاء اشتراكهم في المؤتمر ، ويقص عليهم قصة الوطن المنكوب من يوم توقيع صلح مودروس الى الساعة التي ينحط فيها ، فيستمع اليه النواب في اعجاب يبلغ حد القداسة ، حتى اذا ما راح يتحدث عن الصدر الأعظم فريد وعن رحلته المشؤمة الى باريس لتسجيل الفناء على تركيا نرى الثورة متجلية في نظراتهم وهتافاتهم : ليستقط الحائن ! فاذا قال لهم ان فريداً استنكر الحركة القائمة في الاناضول - بل كذب حدوثها رسمياً - لعنوا فريداً وحكومة فريد وكل من يشد أزر فريد . .

ويختم كمال خطابه بكلمة عن وجوب توحيد الجهود والجمعيات الوطنية المتعددة ، ويقول ان الأمر صدر بالشروع في الانتخابات الحرة ، فعلى النواب أن يصمدوا في الميدان « وستتحقق آمالكم باذن الله . . »

وبعد دقائق معدودات تصل الى كمال برقية من كاظم قره بكير يقول فيها ان أحد جواسيس الانجليز - ويدعى البكباشي نويل - ذهب الى ملاطية للقيام بين الاكراد بدعاية واسعة النطاق ضد الحركة الوطنية ، وان أسرة بدرخان وأسرة جميل باشا تعاملان مع هذا الجاسوس بإعفاء من حكومة فريد

مصطفى كمال يقرأ هذه البرقية على أعضاء المؤتمر ، ويبين لهم خطورة المؤامرة : فهذا جاسوس انجليزي يعمل بأمر من حكومة استامبول على إثارة الاكراد والهجوم بهم على سيواس والفتك بأعضاء المؤتمر الذي يضم خيار الوطنيين . . فهل هم بعد ذلك

في حاجة الى دليل مادي على خيانة الحكومة القائمة في استامبول ؟

ثم نرى رجل الحرب ينطلق من مؤتمر السياسة الى حيث يتحدث مع جمال بك قومندان الفرقة الثانية عشرة الحiale في منطقة ملاطية ، فيعلم منه ان والى العزيز وفد على ملاطية حيث قابل نويل مقابلة طويلة . . فيسأله عن عدد الحامية التركية في ملاطية ، فيعلم أنها لا تزيد على عشرين رجلا . . فيأمره بالقبض على المتآمرين ، فيعتذر بعجزه عن ذلك . فيصدر كمال أمره الى الياس قومندان العزيز وإلى قوات خربوط وسيورن وسيواس بالهجوم على ملاطية ، وتكاد هذه القوات تقبض على المتآمرين لولا فرارهم على ظهور الجياد في جنح الليل . .

ويجد الضباط الأتراك في المكان الذي غادره المتآمرون ستة آلاف جنيه ذهباً كانت أعدت لرشو رؤساء العشائر الكردية !

ويعود رجل الحرب الى مؤتمر السياسة بعد أن يكون قد وحد القوات الوطنية في منطقة ملاطية والعزيز وسيواس وأمرها باجتاث حركة الأكراد من أصولها . يعود ظافراً ويطمئن رجال السياسة على حياتهم وعلى مؤتمرهم ، فيترفون بفضله وورثته ، فيحثهم على ارسال احتجاج شديد اللهجة الى الخليفة فيواقفونه على رأيه باجماع الآراء

ويرسل رشيد باشا والى سيواس خطاباً شديد اللهجة الى وزير الداخلية التركية يمتنع فيه على مؤامرة ملاطية ، فيرد عليه وزير الداخلية بقوله ان المؤامرة تمت بمواقفة الخليفة وتوقيعه « رغبة منه في المحافظة على سلامة الوطن ! »

## ليسقط الخفاش الاسود !

مصطفى كمال دائب على تحرير العرائض والاحتجاجات . فهذه عريضة طويلة يرفعها الى الخليفة باسم مؤتمر سيواس مستنكراً فيما عمل الحكومة على الايقاع بالوطنيين ، مما يؤدي الى اهراق دماء المسلمين وضم الأكراد الى صف انجلترا ، ويطلب في آخرها تحقيقاً شاملاً ينجلي بعده الجو وتمتطع الدسائس ثم نراه يحرر احتجاجاً شديد اللهجة يطلب فيه من الخليفة اسقاط وزارة الداماد فريد « بعد أن ثبتت خيانتها وعملت على الدس وبذر العداوة بين القوميات العثمانية »

ولا يكتبني بذلك بل يصدر باسم المؤتمر نشرة عامة للجمهور يهتم فيها الحكومة بتأخير اصدار قانون الانتخابات والمواقفة على احتلال اليونانيين لطوروس وما جاورها في مذكرتها التمهيدية لمعاهدة سيفر . . فيكون لهذه النشرة أثر شديد في اثاره الرأي العام الذي هتف من صميم قلبه بوجوب اسقاط الخفاش الأسود الداماد فريد . . مصطفي كمال يكاد يظفر بتأييد الرأي العام بعد أن ظفر بتأييد نوابه . وهذا التأييد يحمله على توجيه احتجاج نارى جديد الى الخليفة يحمل فيه على الوزارة الخائنة، ويلقى عليها تبعه الكوارث التي حاقت بالبلاد ، ويلعن الداماد فريد « الذي يفاوض الحلفاء في باريس بلسان ، وينشر الاباطيل في العاصمة بلسان آخر » والذي يتجاهل الحركة الوطنية القائمة في الاناضول في مفاوضاته مع الحلفاء ، والذي يأمر بتسريح بقية الجيش العامل في الاناضول حتى لا تقوم للوطن قائمة قط . . وأخيراً يطالب الخليفة بوجوب اسقاط الحكومة الخائنة واصدار قانون الانتخاب الحر . .

وفي الوقت نفسه نراه يوجه منشوراً عاماً الى أهل استامبول وفي هذا المنشور تجلج قدرته البيانية التي لا تبارى : فهو يقول ان لاستامبول نخر السبق والمبادرة الى الثورة . وان الثائرين اتخذوا الاناضول مركزاً لثورتهم لا لشيء الا أنها بعيدة عن هيمنة الحلفاء . ثم يتحدث عن سياسة الداماد فريد الخارجية - تلك السياسة المدمرة التي لا تبقى على شيء يسمى الوطن ، والتي تحرف فيما تنشره من مذكرات المعاهدة المشثومة حتى لا يطلع الأتراك على ما تبيته لهم من ذل وأسر . ثم يسهب في ذم سياستها الداخلية ويتهمها بالحيانة والفساد والعمل على اغتيال الوطنيين وتشتيت شملهم . ويختم منشوره بكلمات من نار يقول فيها ان مسيو كليمانصو قال لفريد باشا عند وداعه له : ان على الأمة التركية أن تعلن عن وجودها اذا كانت تتشوق بوجوب الاستقلال « فيا أهل استامبول ! ساهموا في أداء الواجب الوطني حتى يكون لنا وجه للاعتراض على أعمال وزارة فريد باشا . . فان العالم سيقول - اذا لم نحرك ساكنا - : لم يستعمل هذا الشعب حتى الاعتراض على حكومته في الوقت المناسب ؟ وان له بعض الحق في قوله هذا ، فبيننا يقول : كما تكونوا يولى عليكم . . . »

الصحف التركية في العاصمة تنشر هذا المنشور فيدوى كالتفيلة . . وأهل العاصمة يأنفون البقاء على الضيم واخوانهم مجاهدين في قلب الاناضول، فماذا تراه يفعلون ؟ ان الاجتماعات تعقد . والأدعية تلقى في المساجد . والشبان يتسلمون الى الاناضول

بكترة هائلة . والشاب النخيل ذو الحصلة النابليونية يكاد لا يخرج من غرفته المختلفة بدخان السجائر . وان أخبار المجاهدين في سيواس تصله عن طريق جماعة من الفدائيين راحوا يحملون الرسائل بين سيواس والعاصمة . . آه ! ان هؤلاء الرسل أعرفهم ، وان لهم لمفاخر ترفعهم الى مرتبة كبار المجاهدين . .  
وبعد بضعة أيام يلقي كمال قبلته الثانية اذ يوزع على سفراء انجلترا وفرنسا وأمريكا وايطاليا والصرب والسويد والدنمارك واسبانيا منشوراً محتوماً بخاتم مؤتمر سيواس ، ينص على أن حكومة الداماد فريد التي تفاوض الحلفاء في مصير الأمة ، لا تمثل الامة في شيء ، وانه ريثما يتم تأليف وزارة وطنية لا يكون الوطنيون مسئولين عن أعمال الحكومة الراهنة ، فان اقرار المعاهدة لا يتم الا بتوقيع حكومة وطنية عليها - حكومة تمثل الأمة خير تمثيل . وان الحركة الوطنية القائمة في الاناضول لن تمس حقوق الدول الاوربية بسوء

\*\*\*

قبلتان في الصميم . .  
الحفاش الاسود يشعر بدنو الحاقمة ، بيد أنه لا يسلم ، فها هو ذا في حضرة مولاه وحيد الدين وبين يديه خطة مدبرة لمؤامرة رهية . .

## انتصار مؤقت

الحفاش الاسود يقدم لوحيد الدين خطته السوداء : فالوطنيون الثائرون جماعة قليلة لا خطر لها . ووحيد الدين ما زال السلطان والخليفة . وأمره لا شك مطاع . والانجليز يسرهم أن يعمل الخليفة على القضاء على الثورة قبل استفحالها . فإذا قضى عليها قدم الحفاش الاسود معاهدته لشعب لا أمل له الا في الحياة الوادعة بعد أهوال الحرب وكوارثها . وسرعان ما ينسى الشعب ماضيه - وما أسرع نسيان الشعوب الشرقية !

والحفاش الاسود يضع بين يدي مولاه منشوراً شاهانياً يطلب منه التوقيع عليه لينشره في طول البلاد وعرضها . فيوقفه الخليفة  
وفي اليوم التالي يذاع المنشور الشاهاني فيقرأه التعلمون ويستمع اليه الأميون . .

الخليفة يعلن أسفه على هذا الخلاف الذي شجر بين العثمانيين بسبب نكرة من النكرات يريد الخروج على الحكومة ومعاكسة القائمين بأمر المفاوضة مع الحلفاء .. ويقول ان هذا الخلاف يؤخر اجراء الانتخابات مما يزيد المشاكل تعقيداً . . . واني انتظر من سائر افراد الأمة أن يقدرُوا دقة الموقف وأن يحترموا القوانين والأحكام ويطيعوا الحكومة القائمة طاعة عمياء فيخيووا أمل كل من سولت لهم نفوسهم بذر الفتن والقلاقل بين صفوف الأمة . . . »

قبلة لا شك فيها يقذف بها الحفاش الأسود كلاً ومؤتمر سيواس . ولو أنها جاءت قبل عقد المؤتمر وتوزيع نشراته في سائر الأنحاء لحنمت على الحركة الوطنية بخاتم التخازل الابدى . ولكنها لسوء حظ الحفاش الاسود - تنشر بعد أن وقف الخاص والعام على كل شيء ، ولذلك فهي تمر دون أن تصيب أحداً بسوء ، شأن كل زيف ينشر بعد أن تفتتح الاذهان الى الحقائق السافرة

أعضاء مؤتمر سيواس يجتمعون ليردوا على منشور الخليفة ، فيقولون إن مطالبهم لا شك شرعية ، وان فريدا لاشك خائن ، وان هذا الداهية لا شك ينحني عن مولاه حقيقة المطالب الوطنية ويصورها له كأنها أعمال قوم ثأرين متهورين . ويحتمون رسالتهم بالمطالبة باسقاط الوزارة واعتماد وزارة وطنية يحق لها أن تمثل الأمة أمام مؤتمر الصلح

ولا تكاد هذه الرسالة تذاع حتى تنهال برقيات التأييد على المؤتمر من ولايات طرابزون وارضروم ووان وبتليس وديار بكر وخربوط ودرس وسيواس وسامسون وملاطية ومرعش وعينتاب وقيصرية وانقرة وقره مان وافيون قره حصار ودكزلى ثم ان على فؤاد قومندان انقرة يسير بقواته الوطنية الى اسكى شهر حيث يحاصر الانجليز فيعلنون رغبتهم عن القتال وينسحبون الى سامسون طالبين اليه ألا يتعرض لهم بأذى ما داموا لا يعترمون اعلان الحرب على الوطنيين

وفي تلك الاثناء يقول مسيولولون مندوب السفارة الفرنسية في استامبول لأعضاء مؤتمر سيواس ان فرنسا ستقف موقف الحياد التام ازاء حركات الوطنيين ويصل بعده الجنرال هربرت الامريكى فيؤيد باسم حكومته أعمال المؤتمر ، ويثبت للسفارة الامريكية ضعف الحكومة القائمة وعدم تمثيلها للبلاد تمثيلاً صحيحاً وبعد أيام تبرق سائر السفارات الاجنبية الى حكوماتها متنبئة بقرب سقوط الداماد

فريد ، مستندة الى ما تراه من قوة الرأي العام الذى لم يؤثر فيه منشور السلطان  
كل هذا يعرفه الوطنيون ويذيعونه فى أنحاء البلاد . فزداد الحماسة اشتعالا ويكاد  
نور الوطنية يغشى عيني الحفاش الأسود  
والخليفة يخشى سوء المغبة فيوسط عبد الكريم باشا للتفاهم مع مصطفى كمال -  
باعتراره رئيسا لمؤتمر سيواس !

## وحيد في أنقرة !

عبد الكريم باشا جالس أمام آلة التلغراف فى استامبول  
ومصطفى كمال جالس أمام آلة التلغراف فى سيواس  
عبد الكريم باشا يرجو أن يفض النزاع القائم بين السلطنة والوطنيين وأن يتم  
الصلح بين الفريقين

فريد عليه كمال قائلا ان الحركة الوطنية لم تكن فى وقت من الاوقات موجهة ضد  
السلطنة والخلافة ، فهدفها الوحيد أولئك الذين باعوا وطنهم وخانوه من أمثال  
فريد باشا وسائر وزرائه . ثم انه يأسف اذ يرى الخليفة مغمض العينين ازاء خيانة  
رئيس وزرائه ، واذ يرى رئيس الوزراء يحاول أن يشوه من جمال الحركة الوطنية  
بقوله انها حركة بلشفية ، فى الوقت الذى يسمح فيه للانجليز باحتلال الاناضول . .  
ثم يقول : « فهل كان يبقى فريد باشا فى الحكم دقيقة واحدة اذا كانت لديه ذرة  
من الحمية والوطنية ؟ »

عبد الكريم باشا رجل طيب القلب . . ولكنه رجل فارغ . والنقاش يتخذ  
شكلا انشائيا لا تميزه وجهة نظر خاصة ، فهو لا يزال يلح فى ضرورة فض النزاع  
والصلح بين الطرفين مع أن النقاش البرقى ظل قائما ثمانى ساعات متوالية . .

اجابات كمال البرقية تحمل الى السلطان فىرى أن العاصفة تكاد تنقلب اعصارا  
لا يبقى ولا ينر ، فيستدعى فريداً ويقبله ويعين مكانه على رضا باشا . . .

ولا تكاد الاقالة تبلغ سيواس حتى يصدر كمال نشرة عامة يبشر فيها الأمة بانقضاء  
عهد الحفاش الاسود . ثم يقدم مطالب الوطنيين الى الصدر الأعظم الجديد ، وهى  
تنحصر فى الاعتراف الرسمى بقرارات مؤتمرى ارضروم وسيواس ، وعدم التعاون

مع الحكومة حتى يتم انعقاد المجلس الوطنى الكبير الذى سيقدر مصير الأمة وينتخب من يمثلها فى مفاوضة الحلفاء .

\*\*\*

قانون الانتخاب يصدر . والانتخابات تجرى فى جو هادى ، فيفوز الوطنيون بأغلبية ساحقة ، ويكون معظم أعضاء مؤتمر سيواس نواباً فى المجلس الجديد مؤتمر سيواس لا يزال قائماً . وهو ينتقل الى انقرة ليتخذ لنفسه مقراً يتوسط ولايات الاناضول

ومصطفى كمال نائب ارضروم فى المجلس الجديد يذهب الى انقرة ليجس النبض ما بال النواب تلهيهم النيابة عن شئون وطنهم الرازح تحت نير الاحتلال ؟ وما بالهم يعمون بوجوب العودة الى استامبول وعقد المجلس الجديد هناك تحت انف الاسطول البريطانى الجائم فى مياه الدردنيل ؟

وما بال بعض ذوى القلوب المريضة يقولون بوجوب حل مؤتمر سيواس لأنه لم يعد له كيان حكومى معترف به بعد الانتخابات الجديدة للمجلس الجديد ؟ وهل يقف الوطنيون فى أول الطريق اذ يتألون أول نصر تافه يصادفهم ويعمون عن المستقبل المبهم - المستقبل الذى ينذر بالحرب وويلات الحرب ؟

مصطفى كمال يتصور جلسته فى شرفة المجلس القديم فى استامبول حيث رأى وسمع النواب وهم يؤيدون حكومة توفيق باشا على حساب وطنهم ، فيتساءل : هل يعود السياسيون الفارغون الى عهد التردد والهزيمة ؟

انه جندى . وانه يرى الجندى أصلح من السياسى لقيادة السفينة فى خضم الحادثات الهائجة

ولكن النواب من رجال السياسة لا يقرونه على رأيه . بل انك لتسمع من بعضهم كلاماً غريباً ما كان ينتظر من قوم كانوا الى الامس القريب ينادون بوجوب قيام حكومة ثانية فى الاناضول تعمل مستقلة عن حكومة السلطان . فهل ياترى تبدلت الحال وزال الاحتلال ؟

كلا ولكنه خور فى العزائم لا تزال نراه الى الآن فى الشرق - واهسناه ! - وهم اذ ينادون بوجوب العودة الى استامبول يكتفون من الجهاد بالقليل التافه الذى قاموا به احتجاجاً وكلاماً ، لا حرباً وصدماً . .

ورءوف بك - الرجل الكبير الذي رأته في القاهرة وأكبرت اخلاقه واحببت  
بدهائه وذكائه - يقود تلك الحركة الخطيرة ويسير في طليعة النواب الى استامبول ..  
فاذا حاول كمال أن يحتفظ لنفسه بحق رئاسة البرلمان ، وقام ينادى بوجوب بقاءه  
في انقرة سخروا منه - بل قل أوجسوا خيفة من الوجه الضامر وعيني الذئب  
المتألفتين ..

إذاً فليذهبوا الى استامبول . وليبق الذئب في انقرة وحده لينظم فلول الجيش  
الوطني وليستعد لكفاح مواعده قريب  
وسيعلم النواب الذين ذهبوا الى استامبول أى منقلب ينقلبون !

## سعيد في الدارين من يقتل مصطفى كمال !

النواب يصلون الى مياه البسفور ويعبرونها الى العاصمة خلال بوارج الاحتلال،  
ثم يدخلون مجلس البعثان دخول الظافرين هاتفين مهالين لأنهم استعادوا مجلسهم  
وقانون انتخابهم الحر ..

مهزلة طالما تكررت في الشرق - وما زالت تتكرر !  
النواب يرفعون الى الخليفة كتابا لسان حاله يقول : المجد لوحيد الدين ، ومنبوذ  
هو ذلك المارق الجائم في انقرة

ثم يشرعون في العمل . فيتناقشون ، ويطول بهم النقاش  
وعندما تصلهم أنباء انسحاب الانجليز من بعض جهات الأناضول ، والفرنسيين  
من بعض الولايات التركية ، تبلغ بهم حمى النقاش أشدها ويخيل اليهم أنهم حقيقة  
يعملون - فيتناقشون ، ويتناقشون ..

وعندما يتدخل الانجليز في شؤونهم الداخلية : محتجون ، ثم محتجون ..  
فيضرب الانجليز ضربتهم القاضية في فجر يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ : فهذه  
جحافلهم تنزل من الاسطول لاحتلال العاصمة ، فتسير من كوبرى غلطة الى وزارة  
الحرية ، ثم الى ميدان بايزيد

وهنا يقف التاريخ ليتحدث عن مذبحه بايزيد ووحشية الانجليز في قره قول  
بايزيد : فبؤلاء عساكر القره قول نيام . وهذه قوات انجليزية تأمر محمدا النوبتجي

بالتسليم ، فيرفض ، فتصرعه لتوه . . ثم تدخل القره قول فترى العساكر في ثياب النوم ، فتصرعهم دون رحمة . . فيسجل التاريخ موتهم في أول قائمة الشهداء في حرب الاستقلال

النواب المجاهدون يصرعون على الاحتجاج فيشتت جنود الاحتلال شملهم ويسوقون بعضهم - وعلى رأسهم رءوف بك وفتحى بك - الى مالطة وتبرغ الشمس على بلد أرضه محتلة ، ومياهه محتلة ، وفي وسطه قصر يجلس فيه خليفة وسلطان يقال انه حامى حمى الدين وخليفة المسلمين ومن عجب ألا يحتج هذا الرجل والاحتجاج أوهى مراتب الجهاد !

\*\*\*

فلول النواب يفرون الى الأناضول . وفلول وزارة الحربية : عصمت وفوزى ولا أدري من من كبار الضباط وصغارهم ، يلحقون بزملاتهم كمال وكاظم ورأفت وعلى فؤاد وعارف

والعاصمة لا تنبس بينت شفة وكانها تطل ينطق فوقه اليوم في هذا اليوم المشئوم يدخل تلاميذ احدى المدارس فصولهم . وفي أحد الفصول النهائية يجلس الأستاذ صامتا مفجوعاً . ويطول صمته . فيقوم أحد التلاميذ فيقول : « ما بال استاذنا لا يتكلم ؟ » فيرفع الأستاذ رأسه ويقول : « اليوم لا كلام ولا درس . فالدروس تلتقى لخير الوطن ، ونحن منذ اليوم لا وطن لنا نعمل من أجله ! » ثم تتألق عيناه ببريق رهيب ويقول : « لتقطع الألسنة ولتقصف الاقلام ريثما نستعيد مجد الوطن . . فاذا سألتهموني : أين هو الوطن ؟ قلت : انه هناك في قلب الأناضول حيث مصطفي كمال ومحمد وفاطمة \* . . فهل فيكم من يعمل مع هؤلاء ويستشهد في سبيل وطنه ؟ ! »

التاريخ يقول : أجل . وان من لم يقدر له الفرار الى الأناضول ليعمل في العاصمة ، والا فكيف نفسر عشور الانجليز على عشرات من قتلاهم في الطرقات صبيحة كل يوم ؟

\*\*\*

الانجليز ضربوا ضربتهم القاضية . وبقى أن يقوم وحيد الدين بدوره

\* محمد وفاطمة اسمان يمان على الجندي التركي والمرأة التركية

هوذا يخرج من اعتكافه الى ميدان العمل . واذا برز الخليفة الى الميدان فلا غنى له عن الخفاش الاسود  
والخفاش الاسود انجليزى أكثر من جون بول . وهو يرى تشتت النواب واغلاق مجلس البعثان بداءة حسنة لم يبق بعدها الا القبض على كمال واركان حربيه ليتم له بذلك الفوز الحاسم  
وما أسهل القضاء على كمال وحركته بنشور يحل فيه الخليفة سفك دمه !  
والمنشور مكتوب لا ينقصه الا توقيع الخليفة . وتوقيع الخليفة يتم دون تردد منه وفي اليوم التالى يذاع المنشور فى دواوين الحكومة وفى الطرقات . ويتلى فى المساجد وتوزعه الطائرات اليونانية - برضاء الخليفة - فى سائر انحاء الأناضول ، ويخرج الشعب منه بأن الحركة القائمة فى الأناضول حركة سداها الحياة - وأن زعماءها خائنون ، وأن الخليفة يدعو كل مواطن مسلم الى نصرته ونصرة الدين الحنيف - فالجهاد الجهاد تحت لواء الخلافة للقضاء على اعداء الوطن الكافرين ، ومباح هودم مصطفى كمال المارق ، وسعيد فى الدنيا والآخرة من يقتل هذا الخائن !

## قضى الامر

الخليفة وخفاشه الاسود ينتصران على طول الخط  
والحركة الوطنية تنساقط كالوراق الخريف فى يوم عاصف  
ومعاقل الوطنيين تسقط فى يد الخلافة تباعاً مبتدئة من السواحل موعلة شطر قلب الاناضول  
و « جيش الخليفة » الذى جمعه سليمان شوكت باشا بأمر من مولاه يدخل الاناضول ظافراً وكان الاناضول قطعة من أرض العدو يفتحها سليل آل عثمان والجالس على عرش محمد الفاتح  
ورجال الدين يستنفرون الناس الى الجهاد الدينى ، فاذا برز لهم أنصار كمال قتلهم ومثلوا بحشهم أقطع تشيل  
قرية فى اثر قرية ، وولاية فى اثر ولاية تعلن ولاءها للخليفة : أزميز . . بروسه قونيا . . آطه بازار . . سسون . . هوذا جيش الخليفة أوشك أن يبلغ أقره . .

ثم ان الفرنسيين يتقدمون من ناحية الحدود السورية ، والانجليز والايطاليون يتحفزون . واليونانيون يزحفون من أزمير الى الداخل . والارمن يقومون لتحقيق حلمهم العتيد : مملكة أرمينيا . والاكراد يرفعون علم الثورة بايعاز من الانجليز . وكل تركى من أنصار الخليفة يتعطش الى سفك دم مصطفي كمال ونيل المكافأة التي قررت لقاتله

فاذا بحثت عن قوات الوطنيين لم تجد إلا جيش كاظم قره بكير في الولايات الشرقية . أما بقية القوات فهي إما مرتدة الى جيش الخليفة ، واما فلول لا خطر لها ، واما عصابات ضررها اكثر من نفعها

قد مصطفي كمال كل شيء ، الا الأمل !

هو ذا جالس الى مكتبه العتيق في بهو مدرسة الزراعة بأنقرة ومعه صديقه عارف ونفر من الحراس المخلصين ، وأمامه خريطة ينظر فيها من حين لحين .. هو ذا جندي يرفع يده بالسلام العسكري ويسلمه رسالة برقية . فيقرأ فيها نبأ كارثة جديدة . فيصدر الامر باتخاذ بعض الاجراءات . ثم يدخل الجندي بكارثة أخرى ، فيصدر اليه أمراً جديداً وهكذا الى ساعة متأخرة من الليل ، كل يوم !

ترى هل يخونه حراسه وجنوده ؟

ولم لا وفي قتله رضاء الخليفة وبضعة آلاف من الجنهات ! ؟

فاذا ظل حراسه له مخلصين ، فهل ينجو من خطر الاغتيال طالما ان انقرة محاطة بطائفة من السفاحين المتعطشين الى الدم المباح ؟

فاذا نجا من السفاحين ، فهل ينجو من الثورة التي توشك ان تندلع فيما حول انقرة ثم تسفي الموت على آخر معقل من معاقل الوطنية ؟

وحدة أليمة . . . ويأس قاتل . . . وصراع مع القدر فوق طاقة البشر !

الذئب يظل في وحدته حديداً جليداً . ويهتف من حين إلى آخر : « ليكن

ما يكون . . . ان تركيا لم تمت بعد ! »

\*\*\*

وبعد بضعة أيام يفتح الباب ويدخل عليه رجلان : عصمت القصير الضئيل ، وفوزي الطويل الفحل . فيتعانق الرجل الثلاثة ولا يتكلمون ، بل ينفرد كل منهم في غرفة ويعمل

ثم يفد عليهم نفر آخرون :

خالدة أديب نابغة نساء الترك . زوجها عدنان . نواب نجوا من النفي الى مالطة  
ووفدوا الى رئيسهم السابق وهم على ما بدر منهم آسفون وعلى الخلافة نأثرون . رجل  
كبير الرأس ضامر الجسم ذو لحية صغيرة أعرفه وتلمذت له ، فر من العاصمة  
ودخل على كمال وصحبه ليلهب الثورة بشعره الناري وليضع للحركة الوطنية نشيداً .  
هذا الرجل هو شاعر تركيا الاوحد واستاذى العزيز محمد عاكف  
وفيما عدا ذلك فالأس القاتل ما يزال مخبياً على انقرة . والسفاحون ما يزالون  
متعطشين الى الدم المباح !

## لك الله يا فاطمة !

عجيب والله أمر هذا الشعب التركي : تحمسه خطبة ثم يبطه منشور . يشره كمال  
ثم يقعده الخليفة ومن ورائه الخفاش الاسود  
ولعل السر في هذا التقلب أنه شعب ذهب كوارث الحرب برصاته المعهودة  
وبروده المألوف وأشرفت به على تلك الخفة وهذا النزق الذي تتأدى به الهزيمة  
إلى الفناء

كان الأتراك حتى الأمس كتلة واحدة تؤيد الخليفة وتسعى في قتل كمال . واليوم  
تتغير الحال غير الحال وينقلب الرأي العام آفلاً إلى الرجل الحديدي الجاثم في أنقرة .  
فقد تسامع الناس بأبناء احتلال أرض العاصمة ومصرع العساكر في قره قول بايزيد ونفي  
النواب واغلاق مجلس المبعوثان ، وأيقنوا أن الخليفة وخفاشه الاسود يعملان بوحى  
من الأنجليز إذ يبيحان دم كمال ويسعيان في القضاء على حركته التي لا مصلحة له فيها  
إلا مصلحة الوطن . وحتى الذين احسنوا الظن بالخليفة لم يعودوا يؤمنون بقدرته على  
فعل الخير وهو السجين في قصره في العاصمة المحتلة ، والرأي العام الذي تاب الى كمال  
وأناجى وترامى على مكتبة العتيق في دار مدرسة الزراعة بانقرة ، رأى عام مؤمن برسالته  
ثائر لحيانة الخليفة . ولا نظن أنه سيتراوح بين الشك واليقين بعد ذلك

جيش الخليفة تنقصه الروح المعنوية . وهو كل يوم يشهد فرار عساكره وانضمامهم  
الى القوات الوطنية . ولا تكاد تمضى الأسابيع حتى يضمحل ويذول كما يذول كل باطل  
يواجهه حق عتيد

والجنود الذين ارتدوا عن القوات الوطنية يعودون إلى الانخراط في فرقهم  
وينحنون على قدمي كمال يملونهما بدموع الندم  
والشباب ، والشيوخ ، والنساء - وفيهن العقائل المحصنات - سيل يتحدر من  
سائر الأنحاء ويجتمع في أنقرة

والقروية الحسناء فاطمة تحمل الي أنقرة الأقوات وتخدم الجنود . ثم تكرس  
أعصابها لحمل البنادق والمسدسات ومئات الألوف من قطع الرصاص والقنابل المهربة  
من حيث لا يعلم أحد . فإذا أشرف عليها الليل وهي في عرض الطريق نامت حيث هي  
وحينا اتفق واستكثرت الغطاء على نفسها في صبارة الشتاء والمطر ينصب عليها انصباباً  
فقطت به ما تحمل من أسلحة وذخائر !

وهي لا تحمل السلاح والذخائر وحسب ، وإنما تقدم للوطن ابنها ووحيدها  
قرباناً حلالاً

لك الله يا فاطمة يا بنت الشهيد ، وزوجة الشهيد ، وأم الشهيد !  
مصطفى كمال يرى كل ذلك فلا يزال حيث كان وكما كان حديداً جليداً . ويطيب  
له الآن أن يدرب عساكره بالحديد والنار على صراع مقبل رهيب ، الذخائر فيه  
شحيحة والراحة محرمة والقوت تافه قليل . وانك لتراه هنا وهناك في كل مكان  
كالهيكل الجبار من فولاذ أسلاكه

وهو يدعو سائر نواب الأمة الى أنقرة فيجتمعون فيها ويعقدون مجلساً يسمونه  
« المجلس الوطني الكبير » . وهم إذ ينتخبون كاملاً للرئاسة في هذه المرة إنما ينتخبون  
أصلحهم عن عقيدة وإيمان . ولا يخيفهم - بعد - الوجه الضامر وعينا الذئب  
التألقان

## بعد نكبة « سيفر »

وتمضى معاهدة سيفر . والسلطان يتحمس لها . والمعاهدة تنشر وتذاع فيقرأها  
الأتراك فتجيش الثورة في قلوبهم من جديد  
ألهذا أمرهم السلطان بالصبر والتريث وعدم القيام في وجه الاحتلال ؟  
ألهذا اتفق العلماء بكفر مصطفى كمال وأباح الخليفة دمه ؟

إن تركيا لتقسم بين الحلفاء قسمة عادلة .. ولا يترك للوطنيين منها الا قسم ضئيل .  
ثم إنهم لا يدعون للاتراك شيئاً من الحق في الاشراف على شئون بلادهم :  
فالجيش سيأمر الحلفاء بتسريحه . والمواصلات ستكون تحت اشرافهم المباشر .  
والضرائب والعوائد والمكوس كذلك . وكل بارقة أمل في الاستقلال يحونها محوا  
ازلياً . .

نكبة فادحة . ومعاهدة جاءت بدون كفاح دموى . . معاهدة رخيصة هزيلة ،  
جاء بها سياسى كذاب يلوح بمطالبه بيد والمدفع بيد أخرى  
ذئب انقرة يتحدى السلطان والحفاش الأسود وأولئك الجابرة الذين يقررون  
مصائر الدول والشعوب لمصلحتهم بعد أن خرجوا من الحرب العظمى ظافرين  
وهو لا يترث حتى تتوطلد أقدام الحلفاء في الأناضول ، بل يأمر جيوشه في  
الشمال والجنوب والشرق والغرب بمناوشتهم واحتلال كل شبر من الارض ينسحبون  
منه ، فتخلص له ولايات بأسرها من غالب الفرنسيين والانجليز  
وهو في تلك الاثناء يلهب نواب المجلس الوطنى الكبير بخطبه النارية . ثم يعود  
إلى الشعب فيرى منه أذنا صاغية واستعداداً للكفاح :  
« لقد خرج الحلفاء - أو كادوا - من الأناضول . ولم يبق إلا اليونان في ازмир ،  
والانجليز في استامبول . وإن حملة واحدة موقفة لتدفع باليونان الى البحر ، وبالانجليز  
إلى حيث . . . »

وهو يقول إن الاحتلال الانجليزى في استامبول احتلال ضعيف لا يقوى على  
للقاومة . ثم ان أحرار الفرنسيين والايطاليين والامريكيين يقولون - بوحي من  
صاحبنا المهزىل ذى الحصلة النابليونية - إن الحلفاء في حالة من الضنك والسأم لانسمح  
لهم بمعاودة الحرب من جديد ، وإن الشعوب الأوربية لن تتيح لحكوماتها بعد ذلك  
أن تزج بها في نيران حروب جديدة مها يكن الباعث عليها . .  
ثم ان جيش الاحتلال في استامبول خائف متوجس بعد أن علم بقوة الحركة  
الوطنية وتصميم بطل الدردنيل على الكفاح . والانجليز اذ يتصورون كلالا يتصورون  
معه عشرات الألوف من قتلاهم الثاوين تحت تراب غاليلوي . .  
إذا فالبدار البدار الى استامبول !

\*\*\*

ميت يبعث من جديد !  
جيش الخليفة لا تبقى منه باقية !  
جلاء الحلفاء عن أطراف الأناضول يتم بسرعة عجيبة !  
كاظم قره بكير ينظف منطقة أرمينيا ويزيل شبح الأرمن . الى الابد!  
صناديق وافرّة من الرصاص يغمها هذا الرجل من الاعداء فيادر الى ارسالها  
الى أنقرة

على فؤاد ينظف المنطقة المحيطة بازمير من طلائع اليونان والأرمن  
أدهم الشركسى - رئيس العصابات فيما سلف - يقوم بأعمال حرية باهرة مع  
على فؤاد !

جعفر طيار : هذا الجندي الكبير المخلص لكمال والحامل لواءه في تركيا أوروبا ،  
في منطقة أدرنة ، يشرع في الزحف على استامبول  
ومصطنى كمال في أنقرة كالقلب الجبار ييث في الجنود روح الاستبسال ويدفعهم  
الى هنا والى هناك

وإن في ارادته الفولاذية وروحه القوية ونظراته النارية لآية لمن يرى ويسمع

## فنزيلوس رجل الساعة !

رجل ضئيل أصفر : فيه من الذئب والثعلب القدر والدهاء . في كريد ولد ،  
وفي الثورات شب عن الطوق . وفي الدماء ولع . وله في عالم السياسة الدولية  
جولات بارعات

فدائي كأروع ما عرف عن شيخ الجبل وطائفة الحشاشين !  
مئات الألوف من الجثث يتخطاها . وبحار من الدماء يعبرها ليصل الى غايته في  
الحياة : مجد اليونان ، ورفع الصليب على مسجد أيا صوفيا  
هو الآن رجل الساعة : فقد جلس مع جبابرة العالم ليبت معهم في مصائر الأمم  
والشعوب ، فرأى ما هم فيه من ارتباك بعد أن ثار الترك واعتزموا اجلاء الحلفاء عن  
استامبول ، فتطوع لافناء الترك بجيش من بني وطنه  
جبابرة العالم يرحبون بما عرض عليهم ثعلب كريد ، فلئن كانت شعوب أوروبا في

حالة من الضنك والسأم لا تسمح بقتال الأتراك ، فهذا شعب يتطوع قائده بالقتال دون أن يرغمه أحد على ذلك

ثعلب كريد ينقلب ذئباً ، ويطلب إلى جابرة العالم امداده بالاسلحة والدخائر ، فيمدونه بما بقى لديهم من مخلفات الحرب ، مدافع وقنابل ورشاشات وبنادق وطلقات وطائرات وخيول وعربات

وذئب كريد يسوق إلى ازمير زهرة الضباط والجنود اليونانيين تمهيداً للزحف على الأناضول

وفي طرفة عين يرى كمال أن الموقف انقلب رأساً على عقب : فبعد فلول الحلفاء الراغبة عن القتال ينفذ على الأناضول جيش عرمرم متحمس للحرب مستعد لها وفي ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٠ يشرع اليونان في الزحف :

ففي تركيا أوروبا ينهزم جعفر طيار بجيشه ويقع في الاسر ، ويستولى اليونان على ما بقى في يد الأتراك من القرى والبلدان

وفي ازمير يقضى الجيش اليوناني على مقاومة الأتراك قضاء مبرما ومن ازمير يزحف جيشان يونانيان جاران فيكتسحان عصابات أدم الشركسي وقوات على فؤاد ، ويسيران في الأناضول صعداً رافعين ألوية النصر على القرى والدائن

اليوناني في السلم ندل وبقال . ولكنه في الحرب جندي جبار . وهو في زحفه هذا على الأناضول وحش كاسر أيقظ فيه ذئب كريد ثأره القديم فراح يقاتل كأروع ما يقاتل جندي تركي أو فرنسي

ثم انه لم يقاس أهوال الحرب الكبرى . والسلاح والذخيرة في متناول يده . والاموال تنال عليه . والحلفاء من خلفه يدفعونه ويؤيدونه . والوطنيون أمامه عصابات وفلول جيوش جائعة ، فقيرة ، لا سلاح معها ولا ذخائر

\*\*\*

ما أشنع فرار الوطنيين أمام الزحف اليوناني ! وما أسعد الخليفة والخفاش الاسود بهذا الفرار !

اليونان أوشكوا على بلوغ اسكيشهر . وقوادهم يصرون على وجوب الزحف حتى يبلغوا شرقي الأناضول . ولكن ثمة ارادة عليا من الحلفاء تمنعهم من مواصلة

الزحف حتى يوطدوا أقدامهم في الأرض التي فتحوها  
وفي انقصة ثورة كلامية توشك أن تؤدي إلى فشل ذريع . فنواب المجلس الوطني  
الكبير الذين سمعوا بالأمس من كمال أنهم على وشك الظفر وبلوغ استامبول تهولهم  
انباء الهزائم والفرار ، ولا يصدقون أن الحالة تغيرت عما كانت عليه . فهل كان كمال  
يلعب بعقولهم عندما قال إن استرجاع استامبول أصبح قاب قوسين أو أدنى ؟ أم أنه  
تسبب - بحماقته وطيشه وجبن قواده - في فشل الحركة الوطنية ؟ !

مصطفى كمال يكاد يصبح عدو الشعب في نظر بعض النواب . وعصمت وفوزي  
لا يصلحان لإدارة المعارك . وعلى فؤاد الذي انسحب أمام اليونانيين خائن يجب  
إعدامه . وأدهم الشركسي - السفاح - ورئيس العصابات فيما سلف ، هو المنفذ الوحيد  
والرجل الذي يصلح الآن لإدارة المعارك !

بل إن في النواب من ينادون بوجود حل للجيش المنظمة وجعلها عصابات يقودها  
أدهم الشركسي . . .

وأدهم الشركسي يزور أنقرة فتستقبله استقبال الغزاة الفاتحين . وزعيم العصابات  
السفاح يدخل المجلس الوطني الكبير فيقوم له النواب اجلالاً ويهتفون له ويصفقون ،  
فاذا دخل كمال المجلس استقبلوه ببرود وفتور ، وتفرسوا فيه بنظرات ، الاغتيال  
كامن فيها والثأر في أشعتها يتألق . . .

مصطفى كمال لا يزال كما كان وحيثما كان حديداً جليداً  
إنه يتقدم إلى منبر الخطابة بخطوات ثابتة ، ويقف أمام النواب صامتاً ريثما تفرغ  
جعبة هتافاتهم العدائية ، ثم يتكلم خافت الصوت في أول الأمر ، قويه بعد لحظات ،  
مدمدماً بعد دقائق . . .

إنه يقول للنواب إنهم لا يقدرّون الموقف حق قدره . وإن الحركة الوطنية  
لا ينتظر منها أن تقف في وجه الزحف اليوناني وهي بعد في مهدها . وإن الجيش  
اليوناني جيش جبار مزود بالمال والسلاح والذخيرة . وإن الخليفة وخفاشه الأسود  
هما اللومان فقد سرحا القوات الوطنية ثم وقعا على معاهدة سيفر ، ولم يكفها ذلك  
بل أثارا حرباً أهلية بين أهل البلاد فأصبح التركي يقاتل أخاه وكأنه يقاتل عدواً  
دخيلاً . . . فكيف ينتظر من بلد هذا شأنه ، وجيش تلك حالته أن يقف أمام  
اليونانيين ويهزمهم في أول معركة يواجههم فيها ؟

ثم ينطلق موجهها كلامه الى دعاة التسليم بالأمر الواقع ، فيهتف بهم أن اذكروا  
عجدهم القديم وغار آبائكم وأجدادكم ، وتذكروا انكم كنتم اليونان سادة حاكمين .  
فكيف تقبلون الذل والاسر من عبيدكم بالأمس ! ؟ « حاش لله أن تكونوا عبيداً  
وقد خلقكم الله أحراراً . . ثوروا لقوميتكم ، ووحداشتات قوتكم ، واعلموا أن  
لواء النصر معقود لكم آخر الأمر باذن الله ! »

ويغادر الرجل الحديد الجليد المنبر فيسود الصمت العميق بضع دقائق . ثم تنطلق  
الحناجر بالهتاف والأكف بالتصفيق ممجدة عدو الأمس وبطل اليوم !

## الويل لأدهم الخائن !

مصطفى كمال رجل الحرب النظامية يخرج من قاعة المجلس الوطني الكبير ظافراً  
بتأييد النواب مصمماً على القضاء على أدهم الشركسي زعيم حرب العصابات . وهو  
- كما دته دائماً - لا يعفو عمن أساء اليه والى قضية الوطن . وقد أساء أدهم الشركسي  
اليه كما أساء الى الحركة الوطنية بفروره وحركات عصاباته الجنونية ، وتسبب في هزيمة  
القوات الوطنية أمام الجيش اليوناني الزاحف ، وأوشك أن يقضى على النظم العسكرية  
التركية ، وشجع نفعاً من الضباط والجنود على خلع اللباس العسكري والتزني بزى العصابات  
وكال رجل النظم العسكرية والحرائط والارقام يرى في حرب العصابات الهزيمة  
المحققة . فهو لذلك يعين عصمت قائداً للجبهة الغربية ، ويأمر أدهم وأتباعه بتلقي  
الأوامر من قائدهم وتنفيذها تنفيذاً حرفياً

ولسكن أدهم يرفض أن يكون تابعاً لعصمت ونصيراً لجيشه . ويجمع من أشدات  
عصاباته جيشاً يسميه « الجيش الأخضر » . ويحاول أن ينفرد بالولايات الغربية وبقنال  
اليونانيين . ويجمع من أهل القرى ضرائب فادحة ، ويتحدى كمالاً وحكومة أنقرة .  
بل أكثر من ذلك كله أنه يهدد كمالاً بالشنق اذا تعرض له بسوء !

ولقد حاول كمال أن يردعه عن غيه فما ارتدع . واستقدمه إلى انقرة ذات مرة  
ليقنمه بوجوب حل عصاباته ، فهدده زعيم العصابات بمسدسه . . ودعاه إلى زيارة  
عصمت في خط النار وفض النزاع القائم بينه وبين غريته ، قففز أدهم من القطار إلى  
احدى المحطات واعتصم بعصاباته مخافة أن يغتاله مصطفى كمال . .

وهناك في ولاية كوتاهية يشق أدهم عصا الطاعة على كمال وعلى الحركة الوطنية . ويعود السفاح إلى أصله فيعيث في الأرض فساداً . ثم ينقلب خائناً فيفاوض حكومة الآستانة ويعرض عليها مساعدته ، ويعمل على قتل الروح المعنوية في صدور الأتراك ، ويصدر النشرات بوجوب الكف عن القتال والاستسلام للامر الواقع ومفاوضة الحلفاء على أساس التسليم بكل شيء . . .

كل ذلك بوحى من حقه على كمال ورغبته في القضاء على حركته . وهو في هذا الانحدار من الوطنية المتطرفة في أول الحركة الوطنية - إلى الحياة السافرة في منتصفها يسعى في أحد أمرين : اما القيادة العليا ، وإما القضاء البرم على الحركة الوطنية ! وأخيراً يضرب كمال ضربته القاصمة إذ يوجه رأفت إلى كوتاهية بجيش كبير يهزم عصابات أدهم ويشتت أتباعه ، فيفر أدهم الى حيث استقر جيش اليونان ، ومن ثم يندثر اسمه كزعيم وطني . . الى الأبد ومصطفى كمال رجل النظم العسكرية والحرائط والارقام يتنفس الصعداء فقد استراح من خصم عنيد أوشك أن يشطر تركيا المجاهدة الى معسكرين متقاتلين

## عصمت في « اينونو »

في منزل السيدة الكبيرة القلب بايان شريفه صالح كورخان جلست في أحد أيام العام المنصرم أتحدث إلى رءوف بك ، وكان موضوع حديثنا عصمت . فقال رءوف بك : « انه رجل كبير . كان القواد يتنافسون في الحصول عليه عندما كان ضابطاً بسيطاً . وقد عرفته في اليمن فعرفت فيه رجل المستقبل . ولما عين أنور وزيراً للحربية اتخذته مديراً لشعبة الحركات - وهي وظيفة كبيرة بالغة الخطورة . وان أنس لا أنسى سفرنا إلى « يانيا » مع بعثة أركان الحرب ، إذ قال لي وهيب باشا - وكان معنا - مشيراً إلى عصمت : هذا رجل ليس له مثل . . . » ثم صمت رءوف بك لحظة ليعاود حديثه :

« وأنا لا أظن ان مصطفى كمال خلق عصمت كما يقول الكثيرون ، فعصمت خلق نفسه بنفسه . وكل ما استطيع أن أقوله في صدد الكلام عن رجلى تركيا العتيدين أن أحدهما يكمل الآخر »

هذا الرجل الكبير الذى يقول رهوف بك انه يكمل مصطفى كمال يفتح الآن تاريخه الوطنى الحافل بنصر عييد فى معركة « اينونو » الأولى ، فقد حسب اليونان أن انضمام أدهم اليهم معناه انقسام الجيش الوطنى ، فزحفوا على مدينة افيون قره حصار واحتلوا جانباً من الخط الحديدى الرئيسى فى الاناضول ، ولكنهم سرعان ما فوجئوا بهجوم واسع النطاق من عصمت اجلاهم عن المدينة التى احتلوها وأعادهم الى صفوفهم الأولى عند اسكيشهر

عصمت فى هذا الهجوم موفق إلى أقصى حده . واليونانيون - بعد - يستشعرون الخوف من الجيش الوطنى الذى زعم ذئب كريد - وكان محقاً فى زعمه - أنه الى الفلول الواهية أقرب منه الى الجيش المنظم الكبير

وفى انتصار عصمت الذى يكاد يكون احدى المعجزات اضعاف للروح المعنوية فى صفوف اليونان ، وتقوية لروح الكفاح فى الجيش الوطنى . وتلك الفلول التى حقر فزيلاوس من شأنها يعاودها الحماس ويصور لها الانتصار تصاوير باهرة فتجالد الفقر والجوع والعري وتستعيد ما فقدته من البسالة والنظام تحت لواء عصمت

وأما اليونانيون فيظلمون معسكرين حول اسكيشهر . وهم فى هذه الشهور الستة يزيدون فى قواتهم ويطلبون المزيد من الاسلحة والذخائر من حلفائهم استعداداً للهجوم المنتظر

## أيام انقرة ولياليها

مصطفى كمال فى أنقرة يعمل . وعلى كتب منه فوزى مكب على خرائطه وشئون الجيش التى لا أول لها ولا آخر . وعصمت فى « اينونو » كما عهدناه - وسنهمده دائماً - كتلة من العمل صماء بكاء

ويحلولى فى هذا الصدد أن أعدل فى أقوال رهوف بك قليلاً : فمصطفى كمال وعصمت وفوزى أقانيم ثلاثة يكمل أحدهم الآخر وتتألف منهم - مجتمعين - تلك الحركة الوطنية الباهرة التى تتحدث عنها فى هذا الكتاب

ومن حق فوزى أن نصفه للقراء ما دام يزهد فى الاعلان عن نفسه : هو رجل مديد القامة ممتلئها ، حديدى الارادة ، كامل الأخلاق ، لا يدخن ولا

يعرف الخمر أو اليسر ، متزوج وله ذرية صالحة ، عافظ على الشعائر الاسلامية في مظهره ومخبره ، يصلى ويصوم ويذكر ويرتل القرآن منذ نعومة أظفاره ، زاهد في المال والجاه ، لا يعرف الا مكتبه وخرائطه وجنوده وسجاداته . اذا تحدث خلته رجلا عاديا . وهو في تنظيم الجيش وتدير القوات والأسلحة عسكري من الطراز الاول عالمي الكفاءة الحربية . ملم بخريطة بلاده إمام الرجل منا بتصميم منزله ، لا تسأله عن قرية أو جدول أو رابية أو طريق زراعى في أية جهة من جهات الأناضول حتى يحدد لك مكانه بالضبط وكأنه ولد وعاش فيه طوال أيام حياته . .

مصطفى كمال يعمل في أنقرة الى جوار هذا الرجل . وهو موثق أن اليونانيين في اسكيشهر يستعدون لهجوم واسع النطاق ، فهو لذلك يصدر الاوامر الى سائر الولايات بتجنيد المتطوعين ، ويشرف على الحركات العسكرية بنفسه ، ويأمر أهل الأناضول باقراض حكومة أنقرة نصف محصول أراضيهم وما يربحون ، ويعدم بتسديد هذا القرض عندما تستقر الأحوال بعد طرد العدو من أرض الوطن

وأهل الأناضول لا يترددون في اقراض الحكومة نصف محصولاتهم . بل ان منهم من يتبرعون بهذا النصف ولا يطالبون الحكومة به . ولقد يعجب المرء لهذه التضحية من شعب استنزفت الخلافة موارده طوال ستة قرون ، كان ينفق فيها بسخاء على اليمن وبلاد العرب والعراق والشام ويسكب دمائه في تلك البوادي السحيقة ، دون أن يعترف له أحد بفضله عليه . وانى لأجد السر في تلك التضحيات الجديدة في هذا الروح الجديد الذى نفخه مصطفى كمال فيهم ، فهو الآن لا يطلب منهم أموالهم و محصول أراضيهم للدفاع عن أقطار أخرى وتعميرها ، بل يأخذ منهم ليعطيهم ، ويستخدمون في الدفاع عن الوطن الذى يشربون مائه ويعيشون تحت سمائه . وهو في حركته الوطنية الجديدة مصمم على أن يكون الأناضول لأهل الأناضول ، ومنهم واليه ، وهو دائماً أبدأ يعترف بأن أهل الأناضول هم تركيا الحقيقية ، تركيا التى ستأخذ مكانها في طليعة الدول الشرقية وعلى قدم المساواة بالدول الغربية . وأهل الأناضول لذلك معتبطون مزهوون بتلك المسئولية العظمى الملقاة على عواتقهم ، فلا عجب أن يجودوا الآن بأخر قطرة من دمائهم ، وآخر سنبله في أراضيهم

وتضحياتهم لا تقف عند اقراض الحكومة وحسب . بل انهم يتطوعون في الجيش الوطنى غلمانا وشيياً . فمن لم يتطوع في الجيش منهم انضم الى الفواطم العاملات

في نقل المؤن والدخائر الى خط النار . وان السائر في المنطقة بين انقره و « اينونو »  
اذ ذاك ليرى ألوفا مؤلفة من النساء والرجال فيهم وفيهن حاملة القنابل على ظهرها ،  
وحامل الغلال على عربته التي تجرها الثيران في طرق متعرجة ووهاد ونجاد ، دون  
أجر معلوم أو مجهول

وفي الميدان اليوناني كنت ترى سيارات النقل الكبيرة والقطر والطائرات  
تستعمل في نقل المؤن والدخائر والرجال الى خط النار

\*\*\*

ومصطفى كمال ينتقل الآن من دار مدرسة الزراعة الى دار ناظر محطة انقره .  
فتراه هناك في حجرة ضيقة مظلمة فيها من الالاث أقله، ومن الحرائط والمخابر والاقلام  
والاعلام الصغيرة التي تستعمل في رسم الخطط على الحرائط آكام  
يومه من مطلع الشمس الى مغربها ينقضى في المجلس الوطني الكبير، وحيث  
الجنود والحديد والنار ، وأمام عامل التلغراف ، وهنا وهناك وفي كل مكان  
وليله ينقضى في غرفته الضيقة حيث يجلس على نور الغاز وأمامه منضدة فوقها  
خريطة الاناضول وبحواره عشرات من لفائف التبغ يدخنها تباعاً ويلقي بأعقابها في  
المنفضة أو في الغرفة حيثما اتفق . وهو في جلسته أمام الخريطة دائب على تثبيت  
الاعلام الصغيرة على مواقع العدو ومواقع جنوده ، يرسم خطته ويناقشها ساعات  
طويلة ، فاذا وجد فيها نقطة ضعف عدل عنها في جملتها أو في بعض تفاصيلها . وكثيراً  
ما نرى بحواره صديقه عارف ، أو مساعده فوزي ، أو هذا أو ذلك من ضباط أركان  
الحرب أو من حراسه المعروفين « باللاظ » وعلى رأسهم عثمان أغا  
والفجر وحده يمد كمالاً متمدداً على فراشه الحسن . . . !

وبعد بضعة أسابيع ينتقل كمال من منزل ناظر المحطة الى قمة راية « تشان كايا »  
المشرفة على قرية انقره . هناك يقيم في منزل متواضع مبني من الحجر فتصلح حاله قليلا .  
وتعمل أمه « زبيدة » على توفير أسباب الراحة له فنرى لونا مؤثراً من حنان الامهات  
« زبيدة » التي رأيناها في سلانيك وسمعناها تتصح ابنها كمالاً بعدم التعرض للخليفة  
الذي يملك قوة سبعة من الاولياء . . . زبيدة التي أشرفت الآن على مرحلة عمرها  
الاخيرة ، والتي لا تزال تتصور كمالاً طفلاً في المهد يبكي ويضحك ويرضع اللبن من  
ثديها . . . زبيدة هذه لاتكاد تصدق أن ابنها أصبح « باشا » من الباشوات وأنشد تركيا

من نكبة غاليلوى وها هو ذا الآن يتعدها من نكبة سيفر . .  
انها تتحدث اليه كما تتحدث الأمهات الى طفل شقي . فيضحك كمال - وما أندر  
ما يضحك !

وهي تشرف على طعامه وفراشه بمساعدة فكرية هانم ولا تنسى أن تقول : «ابنى  
كان يحب كذا ولا يحب كذا من ألوان الطعام لما كان طفلاً يلعب . . »  
وهي تقوم من فراشها في الصباح مبكرة فلا تجد ابنها في المنزل . فتدخل غرفة  
نومه فتجد أثاثها منقلباً رأساً على عقب : كثيراً مهيلاً فيه « قلبى » وطربوش وحذاء  
عسكرى خشن وملابس داخلية وخارجية وخرائط وأعلام صغيرة وعشرات من  
أعقاب السجائر تملأ أرض الغرفة . . فتتهدد

\*\*\*

المجلس الوطنى الكبير دائب على العمل . يعقد جلساته فى الحقيير والحظير من  
الأمور . والنواب يعملون باخلاص وتضحية ولكنهم فى نظر كمال جمهرة من الناس  
لهم ألسنة تتكلم ، وأفئدة تبحش فيها الوطنية ، وأكف تجيد التصفيق ، ولا أكثر  
من ذلك . . شأن سائر البرلمانات فى سائر انحاء العالم

نعم ان فيهم السياسى ، والعالم الدينى ، والزارع ، والتاجر ، والصانع ، والشاعر  
الاديب . وكل ما يصدر من قوانين أو أوامر لا بد أن يناقشوها ويوافقوا عليها .  
ولكن من الذى يشرع القوانين ويوحى باصدار الأوامر ؟

نحن نقرر - للحقيقة والتاريخ - انهم كانوا يرهقون أعصابهم فى النقاش والهتاف  
ولكننا نقرر - للحقيقة والتاريخ أيضاً - ان كمالا هو الذى كان يقرر وينفذ . بيد  
أن وجودهم ووجود المجلس الوطنى أمر لا بد منه لتتخذ قرارات كمال ومشروعاته  
صفة القوانين

ومصطفى كمال إذ يجلس على أحد مقاعد المجلس الخلفية شخصية لا بأس بها فى  
نظر النواب . بيد أنه ينقلب شخصاً غير مرغوب فيه اذا استكثر مناقشاتهم وستم  
تشعب وجهات أنظارهم فارتقى ذروة المنبر وظهر أمامهم بوجهه الشاحب الضامر وعيني  
الذئب المتألفتين . . فاذا تحدث وعلا صوته ودمدم ، وراح يخلب ألبابهم بسحر بيانه  
وروعة خطابه ، صفقوا له طويلاً وأيدوه على طول الخط . .

وان كمالا ليفاجئهم فى كل يوم بكل جديد مستطرف :

فروسيا البلشفية التي قامت على انقراض القيصرية تختط في مستهل حياتها سياسة جديدة أساسها هدم الرأسمالية وعداء حلفاء الأمس وعلى رأسهم إنجلترا . وهي تنسى تلك العداوة التقليدية للاتراك التي توارثها الروس قيصرًا عن قيصر ، وتتقرب الى حكومة انقرة بعد اعترافها الرسمي بها وعقد محالفة معها في ٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩ وكانم قره بكير يهزم الأرمن عند ( قرص ) ويستولى على كميات وافرة من الذخائر والمدافع والبنادق صنعت في معامل إنجلترا ومنحت للأرمن بعد عقد الهدنة فيرسلها فوراً الى أنقرة

وفرنسا وايطاليا تشهران بالضيق والحرج من جراء السياسة الانجليزية اليونانية ، فتوجهان الى حكومة انقرة بأنهما - منذ الساعة - على الحياد ، وبأنهما على استعداد لبيع السلاح للجيش الوطني

وانجلترا لا تقل عن زميلتها ضيقاً وحرجاً . ولكنها لا تزال تؤمل في نجاح الغزوة اليونانية ، فهي لذلك جأمة بأسطولها وجيشها في مياه استامبول ومكناتها ، عاملة على امداد اليونانيين بالأسلحة والمؤن والمال

وفي الشرق الاسلامي موجة من الحماسة تمحو آثار العهود البائدة ، وتيار من العطف يتحدر على انقرة من سائر الانحاء ، وأموال تجمع ، وأدعية تلقى في المساجد وقصائد يهتف بها الشعراء مجدين كمالاً وحركة وطنية ، قائلين :

من العار أن يفدى الغزاة نفوسهم ونحن بدينار نضف ودرهم . . . «  
وان فيهم من يبلغ به التأثير شأوه فيهتف :

عظم المصاب وضح كل موحد وملا الأسى في القبر قلب محمد  
وتزلزل الحرمان حتى أوشكا يتداعيان الى الحضيض الأوهده . . .

كل هذا يقصه كمال على النواب من فوق المنبر ويضفى عليه الواناً من آيات بلاغته فيتحمسون ويهتفون ! وبذلك يحتفظ بمكاته في قلوبهم في تلك الأشهر الطويلة المملة التي تسبق زحف اليونانيين وتندر بهبوب العاصفة النكباء

ثم ينطلق داهية الحرب والسياسة في تحميس النواب والجنود فيقترح تأليف نشيد للحركة الوطنية . ويعين للفائز جائزة كبيرة . فيتبارى الشعراء والمتشاعرون في تأليف النشيد . ولكن أنى لهم ذلك وشاعر تركيا الأكبر محمد عاكف مقيم في

أنقرة؟ وهل يؤلف النشيد وعاكف في المدينة؟

أطال الله بقاءك يا استاذي العزيز . . . انه يضع نشيدا : الاعجاز في كل بيت منه ،  
والنار فيه تتوهج . . . فيفوز بالجائزة ، ولكنه يتنازل عنها للحركة الوطنية وهو  
أحد أقطابها قائلا : ان قبول الوطن لنشيدته يكفيه فخراً وتخليدا

ويلقى النشيد في المجلس الوطني الكبير في يوم اشتدت فيه الحماسة ، فيقاطعه النواب  
بعد كل شطرة منه بعاصفة من التصفيق تستمر بضع دقائق ، حتى اذا ما وصل الشاعر  
الى قوله :

« لتبرغن أيام مجدك التي وعدك بها حقك العتيد . . . »

« ومن يدري . . . فلعلها تبرغ غداً ، أو لعلها أقرب اليك من الغد القريب ! »

زى كالا يخرج عن طوره فيهتف للنشيد وواضع النشيد ، وينادى بأن أيام  
لمجد أقرب اليه من جبل الوريد ، ويقفز الى فوق المقاعد هاتفاً مصفقا ، حتى تسجل  
عقارب الساعة مرور عشر دقائق !

## المناحة الكبرى

عصمت في خط النار يستعد للملاقاة الهجوم اليوناني . وهو الآن سعيد بجيشه  
المنظم بعد أن رحل أدهم الشركسي وتشتت فلول عصاباته ، معتمرا الدفاع عن اسكيشهر  
واقيون قره حصار وما حولها بما بين يديه من جيش صغير واسلحة لا تكاد تقارن  
باسلحة الاعداء

وفي كل يوم يسمع عصمت ازير الطائرات اليونانية فوقه ، فيصر على أسنانه غيظاً  
لأن قوة دفاعه لا تملك طائرة واحدة . . .

وكأن القدر يأبى الا أن يكون ساخرراً فيبعث الى الجيش بطائرة واحدة من  
طائرات الانجليز يقودها شاب تركي جسور . . .

ولهذه الطائرة قصة : فهذا الشاب الاستامبولي ينجل لأنه لم يتمكن من الالتحاق  
باخوانه المجاهدين ، فيبعث بزوجه الحسنة الى حيث ضباط سلاح الطيران الانجليزي  
فيلعب جماها دوره الساحر الخطير ويأسر لب أحد الضباط ، ويحاول العاشق أن ينال  
من معشوقته ما يتمنى فتقول في دلال واغراء : « قبل أن انيلك أمنيته خذني معك

في الطائرة مرة واحدة . . « فيوافق الطيار على ذلك ويدعوها للركوب معه . فتقول له : « ألا تركب زوجي معنا ؟ ! إنه أبله لا خطر له . . » فيركبه الطيار معه أيضاً .. وفي عالم الفضاء نشهد مأساة رهينة : فالشاب التركي يصرع الطيار الانجليزي ويلقى بجثته الى الأرض ، ثم يقود الطائرة بمهارة فائقة الى انقرة . . الى مصطفى كمال ... فتكون الطائرة الوحيدة التي يملكها الجيش الوطني !

عصمت لا يقدر على مبادرة اليونانيين بالمهجوم فكل جندي يفقده ، وكل طلقة يضعها تضعف الجيش الوطني

أما اليونانيون فقادرون على الهجوم . وها هي ذى مدافعهم تلاحق الفضاء قصفاً وتذكر استحکامات الاتراك دكا .. هاهي ذى طلائعهم تخرج من الخنادق معتصمة بقنابل المدافع ، حاملة على جيش عصمت حملات رهينة توشك أن تحمله على التقهقر . . . والويل له اذا تقهقر !

وهناك في انقرة رعب شديد وتغاش طويل . . ونواب المجلس متشبثون بضرورة صد اليونانيين مهما تكن النتيجة . ومصطفى كمال يشعر بخطورة الزحف اليوناني فيعمل ليل نهار ، ويتصل بعصمت في كل ساعة ليقف على سير المعارك ، فيعلم منه أن الزحف اليوناني لا يمكن الوقوف في سبيله ، وأن العدو احتل كوتاهية وافيون قره حصار وأوشك أن يدخل اسيكشهر . . . فيأمره بالدفاع عن اسيكشهر . ولكن عصمت يوقفه على استحالة ذلك ، ويتوسل اليه أن يأتي بنفسه ليدير المعارك أو يأمر بالانسحاب الى موقع آخر منيع . فيغادر مصطفى كمال انقرة ويذهب الى خط النار وسرعان ما تذاق انباء الزحف اليوناني وتقهقر الجيش الوطني فتقوم في الأناضول كله مناخة كبرى . .

لن يبقى اليونانيون على شيء اسمه تركيا في هذه المرة !

ولينتقم الأرمين من الاتراك أشد انتقام !

ولتحرقن القرى والمدائن . ولتباحن الاعراض . وليقتلن الشيوخ والنساء والاطفال بعد الرجال . ولتهدمن المساجد . وليصمتن الى الابد صوت المؤذن : « الله أكبر الله أكبر ! » ولتقلبن تركيا ارضا غير الأرض ، وقوما بعد قوم ، ودينا بعد دين .. أهل القرى يستعدون للفرار فيحزمون أمتعتهم ويودعون مساكنهم ويستودعون الله مساجدهم وقبور أوليائهم وشهدائهم . .

وأهل انقرة يفرون الى الداخل فتكاد تخلو القرية الا من أعضاء المجلس الوطنى  
والجنود وبعض الرجال الشجعان  
واليأس ، والحراب ، والموت ، كل أولئك أشباح تراءى للناس في نومهم  
ويقظتهم  
وهناك فى استامبول لا يزال خليفة المسلمين وظل الله فى الأرض صديقاً للعدو ،  
عدواً للمجاهدين

\*\*\*

مصطفى كمال يذهب الى خط النار فيستقبله عصمت بحرارة ويتخلى له عن القيادة  
مكتفياً بتنفيذ الأوامر  
وفى بضع ساعات يقضيها مصطفى كمال منتقلاً فى خط النار يؤمن إيماناً لا تردد بعده  
بأن الانسحاب الى الداخل أمر لا بد منه ، والا فالهزيمة المحققة .  
ومصطفى كمال إذا آمن بشيء لم يتردد . فهو لذلك يأمر عصمت بالتقهقر إلى  
ضفاف نهر سقاريا

## معركة سقاريا

أرأيت الذئب الذى دوخ مراعى آسيا منذ فجر التاريخ ، وانطلق يقفز من تلك  
القمة الشاغرة إلى هذا النجد الشاهق ثم ينحدر إلى الوديان ومنها يعاود ارتقاء النجاد  
ليهبط الى الوهاد من جديد ؟

أرأيت ضمور وجهه وتألق عينيه فى ساعة الخطر ؟

إن هذا الذئب بعينه يقطع المسافة بين اسكيشهر وانقرة قفزاً ، حتى إذا ما بلغ  
نقرة هرع إلى حيث تجتمع الذئاب فى المجلس الوطنى الكبير ، فتستقبله بعواء :  
الموت فى جلجلته واليأس القاتل فى نبراته . فيعوى أمامها بدوره ويقول لها كما قال  
ذئب آسيا لاتراك آسيا من قبل : « النجاة من هنا . . على كشب من انقرة . . على  
ضفاف سقاريا . . »

فتعاود الذئاب العواء ، وتكشر عن أنيابها ، ويتألق الموت فى عينها ، وتهم  
بافتراس زعيمها فى ساعة الخطر وليكن بعد ذلك ما يكون . .

ولكن الذئب الزعيم يتحدى الانياب والنظرات القاتلة بأنياب ونظرات أشد منها فتكا وأروع تألقاً ، ويقول وهو يلث : « ما بالكم تجبنون ، وفي ساعة اليأس تمردون ؟ أقول لكم النجاة من هنا . . على كذب من انقرة . . على ضفاف سقاريا . . امنحوني قيادة الجيش العليا أمهد لكم سبل النجاة . . »

فتعود الذئاب العواء من جديد . وقاعة المجلس الوطني تكاد تحترق من تألق النظرات النارية . والموت ترقص اشباحه في عالم من اليأس مميت

وهناك في أقصى القاعة يقعى الذئب الزعيم على ذنبه ويتحفز للهجوم . .

يا له من منظر !

إن عواءه يصرم الآذان . إن وجهه الضامر يبدو كقطعة من الفولاذ حمراء ملتتهبة . إن عينيه تصرعان سائر الذئاب بتألقها الوحشي الخيف . . إنه لا تكاد تمر لحظات حتى يخرج الذئب الزعيم من المجلس قائداً أعلى للجيش لا يرد له أمر

\*\*\*

والذئب الزعيم يقطع المسافة من انقرة إلى سقاريا قفزاً . وهو إذ يدنو من خط النار يسمع دوى قنابل العدو فتتألق عيناه بشدة . . ويلث !

فاذا اشرف على مواقع العدو ، نراه على ظهر جواده وفي يده منظار الميدان الكبير . نراه يطبع تضاريس الميدان على صفحة ذهنه . نراه يقيس كل شبر في هذا الميدان ويقدر لنداك السهل يوما ، ولتلك الراية ليلة ، ولهذه التلال وما وراءها ليالى وأياما

ثم نراه فوق السهل . وعلى الراية . وفوق قمم التلال . وفي كل مكان . كما رأيناه في غاليولى من قبل يتحدى الموت وهو موقن أن الموت ليس من نصيبه

آلاف من الطلقات تصوب اليه فلا يموت

مئات من القذائف تنهاوى حوله فتقصف الأعمار : أعمار القواد ، والضباط ، والجنود ، وهو رغم ذلك كله لا يموت

وثمة طلقة واحدة تصيب جواده فيهوى الى الأرض صريعاً . فيقوم الذئب من فوقه وقد تكسرت ثلاث عظام من ضلوعه . .

ولكن هل مات ؟

كلا . . إنه يقعى على ذنبه ويهتف في جنوده وهو يلث : « إلى بجواد آخر . .

هنا فوق هذه الراية سقطت عن ظهر الجواد ، وهنا فوق هذه الراية سينهزم العدو ! »

ثم نراه فوق ظهر جواده ثانياً واربعين ساعة متتالية لا يذوق خلالها طعم النوم ، مع أن ضلوعه المكسرة تذيبه من الآلام ما هو فوق طاقة البشر إنه يتحدى القدر . . إنه يعلم أن سقاريا هي الأمل الأخير : فلما نصر حياة ، واما هزيمة فناء . فهل يعاب بعد اليوم بسقطة من فوق جواد ، أو تكسير في بعض الضلوع ؟

\*\*\*

سقاريا تسجل تاريخها بدماء عشرات الألوف من الضحايا  
فعلى كسب من النهر يحمل اليونانيون على الأتراك حملات صادقة ويفنون منهم  
في كل حملة كتلا هي زهرة الشباب التركي وآخر امل للذئب الزعيم  
واليونانيون إذ يقاتلون الترك انما يصبون عليهم حما من النار القديم الهاجع ، النار  
الذي أيقظه فزيولوس ذئب كريد  
والأرمن الذي يقاتلون في صفوفهم ينتمون اليوم من الاتراك أعداء الامس  
واليوم ، ويؤمنون في قيام دولتهم على انقاض دولة آل عثمان  
وعلى مسيرة أميال من النهر حيث تتعرج التلال وتنحدر الطريق الى انقرة ،  
نجد جنود الذئب الزعيم جاثمين في حينما تهم الارض أو تتجدد . نجدهم في حالة من اليأس  
لا شبيه لها فيما قرأنا من صفحات التاريخ . ولكن ثمة رجلا واحداً يبيت في نفوسهم  
الأمل وفي قلوبهم الاستبسال والجبروت : هذا الرجل هو الذئب الزعيم . .  
فاذا انحدرت مع الطريق المؤدية إلى انقرة رأيت معالم الهزيمة في كل مكان :  
فهذه اسر تفر الى قلب الاناضول على ظهور الخيل أو بعربات تجرها الثيران  
وهؤلاء تجار أو زراع يصفون أملاكهم بسرعة ويحزمون حقائبهم استعدادا  
للفرار

وأولئك ذئاب المجلس الوطني بعثوا بزوجاتهم وأفلاذ أ كبادهم الى حيث الأمان  
ووقفوا على باب المجلس يسمعون دوى القنابل وازيز الطائرات ويصرون على انياهم  
صارخين : « الويل للذئب الزعيم اذا عاد الينا مدحورا ! ! »

\*\*\*

وهناك في قرية « آلا كوز » نجد منزلا صغيرا منفرداً يقف يبابه نفر من الحراس الشاكي السلاح ، ونسمع في الطريق المؤدية اليه وقع حوافر الخيل على الصخور ، وصليل بعض السيوف ، وزى من حين لآخر ضباطاً وجنوداً يدخلون ويخرجون بوجوه في صفرة الموت ونظرات دامية وأعصاب تكاد تتحطم  
فاذا ولجنا باب المنزل رأينا حارساً مخيفاً يقف يباب حجرة القيادة . فاذا ولجنا بابها وقفنا أمام هذا المنظر :

غرفة حقيرة ، أثاث تافه عظم ، سقف يكاد يتداعى ، مائدة كبيرة ، مصباح غاز ، خريطة لتركيا ، أعلام صغيرة مثبتة فوق الخريطة هنا وهناك ، والذئب الزعيم نراه أمام المائدة رهيباً مخيفاً . .

كل شيء هادئ في غرفة الذئب . ولكن العاصفة توشك أن تعصف . .  
هوذا جندي يدخل عليه برسالة طويلة . فيتناولها الذئب دون أن ينظر في وجهه ،  
ويقرأها ، فليث . .

العدو اكتسح الترك حيث الجناح الايسر !  
الذئب يقطع أرض الغرفة جيئة وذهابا . ثم يعود الى المائدة ويتطلع الى الخريطة .  
ثم يقتلع بعض الاعلام الصغيرة من أماكنها ويثبتها في أماكن أخرى . ثم يصدر أمره  
بالمهجوم من حيث ثبتت الاعلام . فيهجم الأتراك فيكتسحون العدو ايتما اكتساح !  
وبعد بضع ساعات :

رسالة أخرى يقرأها الذئب ، فليث . .  
ثم يثبت الاعلام في أماكن جديدة . ويصدر أمره بالمهجوم . فيهجم الأتراك  
ولكنهم لا يكتسحون العدو في هذه المرة . فيقوم الذئب من فوق المائدة ويقفز  
بجواده إلى حيث المعركة الدائرة . ولا يكاد يشرف عليها ويراه الجنود حتى يستميتوا  
في الدفاع ويردوا اليونان على أعقابهم منهزمين !

\*\*\*

وفي منتصف الليل :  
كل شيء هادئ في غرفة الذئب الزعيم  
الذئب الزعيم غارق في تأملاته الحربية . والأعلام الصغيرة تكاد تغطي نهرسقاريا  
والتلال الملتفة حوله

عارف يدخل عليه . ثم عصمت . ثم فوزى  
وكل واحد من هؤلاء الذئاب يصف هول المعارك ويغشى الهزيمة في الغداة . .  
ولكن الذئب الزعيم لا يتوقع الا النصر . . ويقول بصوته الذى يتحدر من فمه  
كالرصاص : « انظروا . . ألا ترون تلك الراية المشرفة على العدو هناك ؟ فوق  
هذه الراية سوف نتصر على اليونانيين . . »  
يقولها هكذا على البديهة دون أن يتدبرها . .  
ومن عجب أن يحقق العدو نبوءته المعجزة !

\* \* \*

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل :  
كل شيء هادىء فى غرفة الذئب الزعيم  
الذئب الزعيم متمدد على فراشه الحشن بجذائه الضخم ولباسه العسكرى ومعطفه  
الرمادى الطويل . .  
وعلى كنب منه المائدة الكبيرة ، وعليها مصباح الغاز ، والحريظة ، والاعلام  
الصغيرة ، ومئات من اعقاب السجائر  
إنه ينام . وعشرات الألوف من جنوده ينامون فى خط النار استعداداً للغد . .  
وفي الساعة الخامسة صباحاً :

الذئب الزعيم يقوم من نومه ليعاود الكفاح  
والشمس تشرق عليه وهو ممتط جواده فى طريقه الى خنادق الجيش  
لم يعد مكانه فى غرفة القيادة فى « آلاكوز » بل وجب عليه أن يعيش مع جنوده  
فى خنادقهم رغم الحاح القواد عليه بوجود الابتعاد عن مراكز الخطر  
لقد بدأت المعارك فى صباح يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ وهامى شمس ٦ سبتمبر  
تشرق دون أن يظفر بأعدائه . فهل تظل المعارك هكذا أبداً الأبدى ؟  
لقد دحر اليونانيون غير مرة . ولكن ظهر أن قواتهم لا ينضب لها معين .  
فهم فى كل يوم يعاودون الهجوم بقوات جديدة . وذخائرهم - لوفرتها - تظعمهم فى  
النصر آخر الأمر . فهل ينتصرون ؟  
الذئب الزعيم يقفز بجواده فوق التلال والمرتفعات وفى يده منظار الميدان ، وقيس  
الابعاد ويدبر الخطط الحربية بسرعة ، ويوزر تلك الفرقة زيارة مفاجئة ، ثم ينطلق

الى الفرقة التالية فيتفقدتها ، ثم الى خط النار حيث يتحدى القنابل والرصاص ، ثم يعود الى الفرق مرة أخرى ، ثم ينزل عن ظهر جواده ويتحدث الى ضباطه اركان الحرب ، ثم يقف هو وعصمت وفوزى ويناقتهم في خططهم الحربية ، ثم يعالج بنفسه اطلاق احد المدافع ، ثم يقفز الى التلال حيث يهجم اليونانيون على الاتراك ويكادون يحاولونهم عن أما كنهم ، فيجد جنوده على وشك الفرار ، فيحتمسهم ويخطب فيهم ، ويهددهم بالقتل ، ثم يعود فيتوسل اليهم ألا يفروا ، فتقلب الهزيمة آخر الامر نصراً ...  
وفي الليل نراه في كل مكان

وقبل الفجر بساعات نراه بمخدائه الضخم ولباسه العسكري ومعطفه الرمادي الطويل ممتدداً على أرض الخندق ، أو تحت عجلة مدفع من مدافع الميدان . . هكذا حيثما اتفق !

وفي الصباح المبكر نراه حيث يجب أن يكون . نراه في مناطق الخطر . فنعجب كيف توحى اليه غريزة الحرب أن يكون هناك في الساعة التي يجب أن يكون فيها هناك وينتفضى النهار بطوله والذئب الزعيم يقفز بجواده فوق المرتفعات ويزور الجنود في الخنادق ويحادث الضباط ويناقتهم القواد ويساهم في اطلاق المدافع ، ويرى حوله آلاف من الجثث فلا يعيرها التفاتاً . ويسمع آلاف الآهات فلا تختلج احدى عضلات وجهه ولا يبدو عليه شيء من التأثر . .

انه يحارب . والحرب ضريبة الحياة على الانسانية . وهذه الجثث يدفعها الذئب الزعيم لعزرائيل عن طيبة خاطر . أما الأبن والتأوه وضعف في القلوب وخور في العزائم لا يود الذئب أن يراه ، ويصم أذنيه دونه . .

\*\*\*

وفي صباح ذات يوم تشرق الشمس على خط النار فيبدو كما هو ، ولا يرى فيه القواد أو الجنود شيئاً جديداً

ولكن الذئب الزعيم يتطلع اليه بمنظاره المكبر فيرى هذا الشيء الجديد الذي لا يتاح الا لمن كان ذئباً أو زعيماً . .

انه يرى ان اليونانيين على وشك الهزيمة والتقهقر !  
ومن العبت أن تناقشه في رأيه هذا فهو لا يقبل النقاش ولكن يأمر بالمهجوم ،  
والمهجوم بشدة . .

فيهمج الأتراك ، ويستमित اليونانيون في الدفاع عن خطوطهم . بيد أن جحافلهم لا تقوى على القتال ، فهي لذلك تغادر الميدان في ١٣ سبتمبر وتعبّر نهر سقاريا ممعة في الفرار !

فيئسم الذئب الزعيم وهو وانف فوق تلال من الجثث والأشلاء  
فقد انتصر !

## « لم نتصر بعد . . »

انهزم اليونانيون في « سقاريا » وارتدوا الى مواقعهم الأولى حول اسكيشهر وعاد مصطفى كمال الى أنقرة

انقرة تستقبل بطلها استقبال الغزاة الفاتحين . والأتراك الذين كانوا يسمعون أمس قصف المدافع فيراودون أنفسهم بين البقاء والفرار ، يحملون رجل الساعة على الأعناق ويهلمون ويهتفون في فرح جنوني

والمجلس الوطني الكبير يجتمع ويقرر منح مصطفى كمال لقب « الغازي » ورتبة « المارشالية »

وبعد أسابيع :

أعضاء المجلس الوطني الكبير يقولون : لقد انتصرنا . فلنعقد مع الأعداء هدنة ومع الحلفاء معاهدة نستعيد بها استقلالنا المفقود

ومصطفى كمال يقول : لم نتصر بعد ، وإنما أوقفنا تقدم العدو باحدى المعجزات ،

أما الهدنة والمعاهدة فلن أسمح بهما حتى نقذف بالعدو الى مياه البحر الابيض !

وتنقضى أسابيع في صراع بين أنصار الوقوف في منتصف الطريق والأمل في المعاهدات الرخيصة ، وبين الرجل المصمم على السير الى آخر المرحلة واملاء شروط الصلح على العدو المغلوب

وأخيراً ينتصر مصطفى كمال . لبدأ صراعاً آخر

فالنواب يقولون : لم لا تهاجم العدو مادمت مصمماً على اجلائه عن الأناضول ؟

فلا يجيبهم مصطفى كمال بل يستعد للقتال باذلاً جهود الجبارة في ترميم أقطاب الحرب وتجهيز الجيوش وشراء الأسلحة والذخائر ، ويعقد مع روسيا معاهدة « قرص »

ومع فرنسا « ميثاق أنقرة » الذي استعاد بمقتضاه ثمانين ألف جندي أسير ضمهم الى الجيش الوطنى ، ويشتري من ايطاليا وفرنسا عشرات الألوف من البنادق . ويحمل الشبان على التطوع فى الجيش . ويحس الأتراك الراغبين عن القتال بخطبه النارية ، ويقاوم رغبات السياسيين فى الصلح ، ويضرب على مؤامراتهم بيد من حديد . ويسمع إذ ذاك أن أنور رجل الخيال والخطط الجنونية أصبح أميراً فى بخارى ، وأن جمالا أصبح مستشاراً فى حكومة افغانستان ، وتصله منهما برقيتان يقول أنور فى احدهما انه مستعد للانضمام الى القوات الوطنية بجنوده من التركستانيين ، ويقول جمال فى الأخرى انه يهد لتحالف عسكري بين تركيا وأفغانستان ، فيمزق البرقيتين فى غضب واحتقار ، ويهتف بصوت كهواء الذئب : « لن أسمح لأنور وجمال بالعودة الى تركيا ، ولن أسمح لتركيا أن تستقل الا بجهد أبنائها ! »

\*\*\*

وفى الثلث الأخير من شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ يزور مصطفى كمال خط النار زيارة قصيرة يسر فيها الى عصمت وفوزى بأن يستعدا للهجوم فى يوم ٢٦ ولكى يحيط حركاته بالكتان ويعددها عن الشبهات يأمر باقامة مباراة فى كرة القدم بين جنوده . . وفى ساحة اللعب يجتمع بالقواد ويفضى اليهم بتفاصيل الهجوم ثم يعود الى أنقرة فلا يشعر أحد بأن ثمة شيئاً جديداً . . بل إن داهية الحرب ليدعو سائر النواب الى حفلة ساهرة فى ليلة ٢٦ أغسطس ، فى ليلة الهجوم العتيد . . وفى تلك الليلة بالذات يعود الذئب سرّاً الى خط النار . .

## الى الامام !

فى الساعة الرابعة من فجر ٢٦ أغسطس يصدر الأمر التالى :  
« أيها الجنود . . الى الأمام . . الى البحر الابيض ! ! »  
فيهمج الجنود على « دوملوبنار » ويأخذون العدو على غرة ، ولا تغرب الشمس فى هذا اليوم المجيد حتى يشطروا الجيش اليونانى الى شطرين . . .  
والقائد الأعلى لجيش العدو يسقط أسيراً هو وجميع أركان حربيه . .  
قضى الأمر . وانهمز اليونانيون أشنع انهزام !

هاهي ذى فلولهم ترتد على أعقابها في فرار منجل مشين . الغزال لا يلحق بهم اذ  
يفرون . الدمار والموت والنار في كل قرية عنها يرتدون . شيوخ وفتيان ونساء تبقر  
بطونهم أو يذبحون

وفرسان الترك في أثر العدو المهزم يرون كل ذلك فيصابون بمنحون الحرب فلا  
يرحمون . يقتلون ولا يأسرون . وفي الدماء منحوضون . وعلى الاشلاء يسيرون . . .  
ونساء الترك ينقلن ذئابا يذدن عن أعراضهن ويحملن السلاح مع الرجال ويتقدمن  
الصفوف فاتكات مقاتلات . .

وفي احدى القرى يحملن رؤوس الزجاجات المحطمة ويقتلن بها مئات من اليونانيين  
والطيور الجوارح تحلق فوق الجثث ثم تنحدر اليها لتشارك الذئاب والكلاب  
في وليمة الموت . .

والهواء تسممه روائح الجثث المنتنة في منطقة بين « دملو بنار » والبحر الابيض  
ذرعها مائتان من الاميال . .

ذئب انقره على ظهر جواده يسير في أثر العدو فوق الانقاض والقرى المحترقة  
وعشرات الألوف من الاجداث دون أن تطفر دمعة من عينه أو يبدو على وجهه  
الضامر ظل من التأثر !

إنه يسير ويسير . . ولا يسمع أنين هذا الجريح . ولا حشجة هذا الطفل ولا  
نواح تلك الأم الثاكلة ، ولا لعنة هذا الشيخ التي يصبها على العدو ، ولا عواء الذئاب ،  
ولا بناح الكلاب . .

إنه يسير ويسير . . ومن حوله أرواح تزهب ، وقرى تحترق ، ومساجد تنهار ،  
ومزارع لا تبقى فوقها نابتة ، ونسور تشيل من فوق الرمم وتحلق في الفضاء . .

إنه يسير ويسير . . عشرة أيام كاملة حتى تبدو ازمير من بعيد . .  
انه يسير . . حتى يدخل المدينة في عاصفة من التهليل والهمتاف ، ويسير في طرقاتها  
في موكب عسكري فرسانه قد جردوا سيوفهم فتتصاعد الهمتافات من صميم الافئدة ،  
وينهال الاتراك على قدميه ويديه وجواده تقيلا وبكاء . .

انه يسير حتى يرى مياه البحر الابيض . . فيتسم !  
وكما تلمع البرقة الحافظة ثم تستسر في بهم الليل ، تختفي هذه الابتسامة ويعود الذئب  
كما كان وحيثما كان حديداً جليداً

## المخدعة البارعة !!

مصطفى كمال لا يزال غير راغب في الصلح مع أنه قذف باليونانيين الى مياه البحر الابيض

انه مصمم على اجلاء آخر جندي أجنبي عن تركيا ليتمكن بعد ذلك من املاء شروط الصلح على الحلفاء - لا مفاوضتهم عليها  
ومع ان اليونانيين خرجوا من الاناضول ، فان جيوشهم لا تزال في تركيا أوروبا ، في تراقيا

ومصطفى كمال مصر على عبور الدردنيل وافناء الجيش اليوناني عن آخره . . .  
ولكن ثمة مشكلة دولية تقوم في طريقه ، فالانجليز معسكرون في منطقة جناق قلعة ، وقد رفضوا السماح للجيش التركي بالمرور الى تراقيا . وهام أولاء يقفون أمام طلائع الأتراك ويهددون باطلاق النار . . .

المجلس الوطني الكبير في انقرة في أزمة عصيبة . . . والنواب فريقان : فريق يصر على وجوب عقد الهدنة والشروع في مفاوضة الحلفاء ، وفريق يرى وجوب الهجوم على الانجليز والاشتباك معهم في حرب طاحنة ، وليكن ما يكون !

ويقوم بين الفريقين صراع دبلوماسي خطير . فيقف مصطفى كمال في المجلس بين التيارين المتعارضين ، ويقول انه لا يقبل رأى هذا الفريق ولا رأى ذلك ، فالصلح قبل اجلاء آخر جندي أجنبي عن أرض تركيا نكبة فادحة . والاشتباك مع الانجليز في الحرب نكبة أفدح . . . فلينتظروا قليلا ريثما تهدأ العاصفة . . .

ثم يعود الى منزله فيستعرض الموقف من أوله الى آخره ويرسم خططا عديدة يناقشها واحدة بعد الأخرى حتى يستقر على خطة بارعة فيصدر الأمر الى القوات التركية بالتقدم الى خنادق الانجليز خافضى بنادقهم معلنين رغبتهم عن القتال . !

ويتقدم الجنود الأتراك شطر الخنادق الانجليزية بخطى وثيدة وبنادقهم منخفضة الى أسفل ، فيرتبك الانجليز أمام هذا الزحف السلمي العجيب ويستشيرون ضباطهم فيما يجب عليهم عمله ، فيستشير الضباط قوادهم ، فيستشير القواد قائدهم الأعلى السير شارلس هارنجتون ، فيفغر هارنجتون فاه دهشة ، ويرتبك بدوره !!

ولا عجب في ذلك فهارنجتون لا يقدر على مقاومة الأتراك . ثم إن الرأي العام

الانجليزى ينكل الآن بكل من يمهد لحرب جديدة . والحلفاء يخشون أن يؤدى اشتباك الأتراك مع الانجليز الى حرب دولية أخرى . . .  
مصطفى كمال يشاهد فصول هذه الرواية التى ألفتها تمثل أمامه على مسرح السياسة، فيتسم . وعندما يدخل عليه فرانكلن بويون ممثل فرنسا الرسمى ويطلب اليه فى الحاح وخوف أن يوقف زحف جنوده مخافة أن تنطلق فى الفضاء طلقة طائشة فتؤدى الى الحرب . . . فيقول مصطفى كمال يرود انه ينتظر هذه الطلقة بصبر نافذ . . . فيقف شعر فرانكلن بويون عندما يتصور هول الحرب المنتظرة ، ويحسب أن كالا يريد اعلان حرب جديدة تؤيده فيها الروسيا . . . فيصرح له بكل شىء ويسلم بكل شىء :  
فاليونان يتعهد الحلفاء باجلائهم عن تركية أوربا . وجيش الاحتلال يتعهدون بسجبه .  
والصلح يتعهدون بقبوله . . .

وامام إصرار فرانكلن بويون وتوسلاته المستيرية يقبل مصطفى كمال أن يوقف تقدم جنوده . . . ويكون ذلك منه تفضلا على الحلفاء ومنة يقابلونها بالشكر وعرفان الجميل !

وفى قرية « مودانية » تعقد الهدنة فى ٩ أكتوبر على يدى عصمت . وبعد أيام لا يبقى فى تركية أوربا يونانى واحد ! !

## مصطفى كمال كما أعرفه

تمت المعجزة . وانتصر مصطفى كمال . ولم يبق من آثار الاحتلال الاجيش بريطانى هزيل فى استامبول أوشك أن يستقل بوارجه الى بلاده ، وخليفة خائن أوشك أن ينبذ بنذ النواة

ومصطفى كمال الآن رجل الساعة . رجل الشرق . رجل العالم وهذا الرجل النحيل بوجهه الضامر وعيني الذئب المتألفتين يقف على قنة الانتصار والفخار وسط هالة من المجد

والأتراك يهتفون له من أعماق قلوبهم : « يعيش الغازى مصطفى كمال ! »  
والشوقيون يهتفون : « يعيش البطل الشرقى ! »  
والاسلام يهتف : « يعيش سيف الاسلام ! »

ومن مصر ، وسوريا ، والعراق ، وإيران ، وأفغانستان ، والهند ، والصين ،  
وجزر الهند الشرقية ، والحجاز ، واليمن ، والسودان ، والحبشة ، وتونس ، والجزائر  
ومراكش ، تنهال البرقيات ، والدعوات ، والسبح ، والمصاحف ، والسيوف ،  
والخنجر الرصعة بالجواهر . . .

وفي كل قطر من هذه الأقطار ، وفي كل مدينة وقرية ، وفي كل منزل ، يمجّد  
المسلمون بطل الشرق والاسلام

ومئات الملايين من المسلمين الذين خرجوا من الحرب العظمى مستعبدين مضطهدين ،  
يتمنون لو يعاود التاريخ سيرته الأولى ، ويحمل الغازي مصطفى كمال سيف الاسلام  
ولواء الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الجهاد في سبيل الحرية ، في سبيل الشرق ،  
في سبيل الاسلام . . .

ودعاة الأبراطورية العثمانية من الأتراك يتمنون لو يصبح قائدهم محمداً وفاتحاً  
آخر يشرع في بناء امبراطوريتهم من جديد . . .

وفي وسط هذا العالم الزاخر المتأجج ، والحماسة المستعرة ، والسيل العرم ،  
والشرق المضطرم ، يقف الرجل النحيل بوجهه الضامر وعيني الذئب التالقتين كما كان  
وحيثما كان حديداً جليداً . . .

فأما الراغبون في بعث الامبراطورية العثمانية فجوابه عليهم : « لا . . . دعوا العظام  
النخرة في قبورها ولا تزعبوا الأموات في عالم الأموات . . . نحن لا نحيا الموتى ،  
ولا نشيد الأتقاضا الحربة من جديد »

وأما الراغبون في الجامعة الاسلامية فنصيبيهم منه : « لا . . . أنا لا أؤمن بالجامعة  
الاسلامية في عصر ناري حديدي لا يعرف الا دولاً مستقلة وحدوداً معترفاتها في  
القانون الدولي العام . فان كان ثمة اتفاق فليكن بمعاهدات هجومية دفاعية ، ومثل  
هذه المعاهدات لا أعقدها الا مع الدول المستقلة ذوات السيادة والقوة ، والمصلحة التي  
أراها أمانى كما أرى أن ١ + ١ = ٢ »

وأما الراغبون في المساعدة فيقول لهم : « لا . . . كيف نساعدكم ونحن أنفسنا في  
حاجة الى المساعدة ؟ ! أنا أعلن على رءوس الأشهاد انى لن أساعد أحداً . وكل  
ما هنالك اننى آتمنى لسائر الشرقين الخير والحربة »

وأما الراغبون في بعث الاسلام بالسيف والجهاد فجوابه عليهم : « لا . . . لسنا في

عصر الحروب الصليبية . دعوا الاسلام وحده وجاهدوا اتم لتستقلوا ، فاذا نتم استقلالكم ورأيت على خريطة العالم عشرات من الدول الاسلامية المستقلة أيقنت أن الاسلام بعث من جديد . أما الجهاد في سبيل الاسلام وأنتم مستعدون فحرب تعلنونها على الاسلام . .

وأما البلاشفة ، أولئك الذين جاءوا بنظام عالمي جديد ، وعولوا على اتخاذه بوقاً شرقياً وخليجاً يعبرونه ليصلوا منه الى الشرق فجوابه عليهم : « اتم تقولون انكم سترفعون عن الطبقات المستعبدة نير الاستعباد . فأقول لكم انى لا أعرف طبقات مستعبدة ( بالكسر ) وأخرى مستعبدة ( بالفتح ) ، وإنما أعرف طبقات تسمح لغيرها بأن تستعبدها . ومثل هذه الطبقات يجب أن تفتى في الرق والاستعباد . . دعونا من البلاشفية فأنا لا أومن بها . وتعالوا تنفق على الهجوم والدفاع كما تفعل سائر الدول الغربية »

كلمة « نعم » لم يقلها هذا الجبار لأحد قط . . ولو كان أحد غيره في مكانه لأسكرته نشوة الظفر ، وأخرجه الشرق المضطرم عن طوره ، فراح يتخبط في سياسات خرقاء ، كتلك التي سارت عليها الامبراطورية العثمانية في أواخر عهدها ، فيتحطم ، ويحطم معه الشرق أجمع

وانى لأراه في هذه الساعة واقفاً فوق قمة الانتصار والنخار وحوله هالة المجد ، فأرى كتلة من الحديد الجليد ، وأرى عينين متألفتين ولكنهما لا تبصران إلا حدود تركيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وأسمع كلمات كأنها الفولاذ المصبوب :

« ألا بعداً للعاطفة . ! ألا سحقاً للحماسة الزائفة والتعصب الدينى الكليل الزائف ، لن أكون بطلاً شرقياً ، ولا بطلاً اسلامياً . . لن أقاوم الغرب . . فقد رأينا الويل من عداء الغرب . . لن أقاوم المسيحية فقد قاومناها قروناً وها نحن أولاء نقف أمامها مهزومين مدحورين . .

« الجامعة الاسلامية والجهاد الدينى يوقظان عداوة الغرب وتعصبه ، فيطالبنا أبدأ بأن نعيش له عبيداً . . سأعيش ويعيش الأتراك لتركيا وحسب . . حدودنا لا تتجاوزها . . صداقة الغرب لا بد منها . . مجارة الغرب في مدنيته واختراعاته وعلومه ديننا . . أما الاسلام ، دين الله ، فسوف أحمو من معاملة الدنيوية ما يثير تعصب الغرب وعداوته . . ألا بعداً للشيوخ التعصبين الجاهلين . . ألا بعداً للتعصب وكل ما يمت الى التعصب

بسبب . . ألا بعداً للخلافة . . ألا بعداً لكل ما يعيد الى الأذهان عهد الخلافة  
فيوقظ عداوة الغرب المهاجمة .. الدين بينى وبين ربى ، أما الدنيا فيبنى وبين الغرب ،  
ولأفضلن بين دينى ودنياى ما دمت حياً . . تلك رسالتى للعالم ، وللشرق خاصة . . »

\*\*\*

وهناك على راية بعيدة في التركستان ترى قبراً كقبور الأولياء يحج إليه  
التركستانيون ويمللون صخوره بدموعهم الحرى  
تحت هذه الصخور عظام أنور : رجل العاطفة ، رجل الحماسة الزائفة ، رجل  
الخلافة ، رجل الامبراطورية ، رجل الجامعة الاسلامية . .  
قضى هذا الرجل نجه شاهراً سيف الاسلام - سيف الشرق المجاهد - في وجه  
الروسيا - في وجه الغرب التعصب !  
فماذا كان نصيه الا الدموع ! ؟  
ألا تسأ لأولئك الباكين ولتلك الدموع الحرى ان كانت العاطفة والحماسة الزائفة  
والخلافة ، والامبراطورية ، والجامعة الاسلامية تؤدى بالشرق إلى قبر كقبور  
الأولياء يحج إليه الضعفاء باكين مترحمين !

ثم الكتاب الثانى